# الداء والدواء

﴿ مجموعة مقالات اجتماعية ﴾

كتبت في اوقات مختلفة

---

بقلم

## اسكندر الخوري

البيتجالي

---



ثمنه عشرة قروش واجرة البريد قرش واحد

طبع بالقدس بمطبعة دير الروم في اكتوبر سنة ١٩٢١

# الداء والدواء

﴿ مجموعة مقالات اجتماعية ﴾

كتبت في اوقات مختلفة

---

بقلم


## اسكندر الخوري

البيتجالي


---



ثمنه عشرة قروش واجرة البريد قرش واحد


طبع بالقدس سنة ١٩٢١

# مقدمة

كلما كرهت العودة الى هذه القصبة ، مجلبة المتربة ، أكرهت بعامل الواجب على العودة اليها

نعم وأواصل الكتابة ليل نهار ، وهدفي اسعاد امتي النجيبة ، و بلادي الحبيبة .

الداء والدواء : مقالات اجتماعية وطنية ، وجولات يسمع من خلالها انات و يلمح خلال سطورها دمعات ، ولا بدع فطول صرير الاقلام على القرطاس يكسبها مزية الشعور فتبكي مع الباكي وتضحك مع الضاحك بل هي صيحات تزعج قارئها من سباته وتهيب به من نومة طال عليه الغيب فيها ، وتدفعه كالنمر الجريح للعمل الجد

ايها ذا القارئ ! .

لو لم اعلم علم اليقين ان النفس لا تنهج محجة الهدى ولا تخف الى معالجة دائها العياء الا بالاهتداء الى عيبها ونقائصها لصورت لك الحسن قبيحاً والغث سميناً ، والباطل حقاً ولا تيتك من الوهميات ما يقعد بالعزمات عن بلوغ الغايات

تصابحنا اليوم ، وتماسينا الغربان ، وللرقي يا أهل فلسطين نهضة بعيدة

المرتمي ؛ فلا تكبروا الانتصاح بنصح جعلني ادعيه شجن مستشار وخطب جلل ، فقد قطعت الشعوب اشواطاً في مراقي الحياة ، ونحن بازواد قليلة ورواحل كليلة نتخبط في ليل حالك وطريق وعرة ! .

ما انا اول من صرّح فجرح ، وألف فاستهدف ، فالحقيقة كالماء الزلال في فم المريض ، ومثلي من يهفو ، ومثل القاري الكريم من يعفو ولكن لعل الداء ليس عياء ، والدواء شافٍ باذن الله

اسكندر الخوري

القدس ــ ١٥ اكتوبر سنة ١٩٢١

# البائسات

« اتقوا الله في الضعيفين، المرأة واليتيم »
« صاحب الرسالة الاسلامية »

كلما أُطلق الكاتب لقلمه حرية الفكر ، اقترب من الحقيقة وابتعد عن مواطن الضعف والخديعة . ولا بد لحرية الفكر من شعور لا يقف في سبيله خيال منتقد بايد او شبح عدو كل فكر جديد ، والا انقلبت الحرية الى تورُّط وتهوُّر

ليقل الجاهلون عن كل كاتب حرّ الفكر مهما قالوا ، فلا بد للظروف المؤلفة اراء الوسط ان تنسخ اقوالهم الضارة ، وتحيي افكاره النافعة

***

سرتُ يوماً بقدم مطمئنة الى مركز اشغالي ، فاذا برجل اعرفه يستوقفني . فسألته عن امره فأتى الي وهو في منتهى

الكآبة رسالة استلمها من ادارة البريد وطلب اليَّ تلاوتها ·
ففضضت ختمها وقرأتها على مسمعه وما كدت انتهي منها حتى
شرق الرجل بريقه ، وتنهد تنهداً حاراً ومضى في سبيله

اذا كانت الصدور صناديق الاسرار ، فصدري اضيق
من ان يسع سرًّا كهذا ، وان كان في افشاء السر عار ، فغايتي
في كشف هذا السر تشفع لي عند القوم العاقلين وقد قيل :
الغاية تبرر الواسطة

الرسالة من اميركا ، من مهاجر فلسطيني الى زوجته ،
وهي ابنة الرجل الآنف الذكر ، سمع انها تتعاطى حرفة الخدمة
في احد البيوت لتعيش ، فظن فيها مرجمات الظنون ، ونفث
سمه في تلك الرسالة وارسلها اليها معلناً لها ولابيها انه لا يريد
ان يعرفها من الان زوجة له — ولماذا ؟ — لانه لا يريد ان
يرى زوجته خادمة ··

واتفق ان جمعني وبعض الاصدقاء نادٍ يطل عَلَى شارع
من شوارع البلدة تزدحم فيه ارجل المارة ، وفيما نحن نتجاذب

احاديث الملح اذا باحدنا قد اشار بسبابته الى امرأة تسير في عرض الطريق ، وقال لي همساً : انظر الى هذه الغادة فانها مبتلاة بالداء الوبيل ولم تأتِ منكراً ولم تقترف اثماً . عايشها زوجها بعد مجيئه من اميركا فنقل الى جسمها السليم جراثيم دائه . فتأملتُ المرأة فاذا بي اقرأ عَلَى وجهها الجميل آثار الغدر، وفي عينيها المريضتين جريمة الرجل ..

وذهبتُ صباح احد الأيام الى محطة القطار لاشيع صديقاً لي هو احد حاملي لواء الاداب في القطر المصري وكدت لا اتريث قليلاً حتى رأيت جماعة من* احدى القرى المجاورة للقدس يحيطون بشاب يذرف الدموع السخينة ، ويودع صبية في مقتبل العمر وردّ خديها الحياء وزادها الحزن جمالاً . فاستلفت صديقي هذا الموقف المؤثر لا وما كدنا نردّ الينا ما تشتت من شملنا حتى استفهمنا جلية الامر ، فقيل لنا ان الشاب هو زوج تلك الصبية وكلاهما عريسان جديدان لم يمض عَلَى زواجهما شهر واحد وقد حمل الزوج قائد الاضطرار

على السفر الى اميركا، وها هو يودعها بنفس متجزة وقلب ذائب لانه يحبها محبة اقرب منها الى العبادة

ثم دوى صفير القطار منذراً المودّعين والمودّعين بالسفر وبعد حين انساب انسياب الافعوان ، يطوي الهضاب ، ويقطع الاودية

وعدت ادراجي ، وليس وراء ما في نفسي من الغم غاية

هي النفس قد يبلغ منها الغم مبلغاً تكاد ترى الحياة معه اظلم من الدجى واضيق من سمّ الخياط ، ولولا الآمال التي تعلل بها ، لمزقت كل ممزق ..

***

ثلاث جنايات يمثلها ثلاثة رجال في ثلاث نساء ، ونوع الجناية ، والجاني ، والمجني عليه كثير في هذه البلاد ، لا يحصى عدده ، ولا يبلغ الطرف حده

هجر الجاني الاول وطنه بعد ان استدان اجرة سفره بربى فاحش وترك زوجته عند والديه الفقيرين ، وما كاد يطأ

ارض العالم الجديد حتى تبدى لعينيه باب واسع ، فتحت دفتيه يد الحرية المتطرفة في هاتيك البلاد .. فزينت له نفسه الولوج منه ، فوقف دونه اباء عربي ، ما عتم ان تضاءل نوره بفضل تلك الحرية ، وسعت بإطفائه نفس امارة بالسوء قتلت في ذلك المهاجر أريحيته ، واضعفت همته ، واسلمته الى يد البطالة ، تقذف به من مفسدة الى مفسدة ، حتى نسيَ ان له في وطنه زوجة بائسة ووالدين يستطلعان اخباره و يرقبان برّ ابنهما بهما ..

صبية نزح عنها زوجها والقاها في حضن الفقر ، وشيخان ينوآن تحت اعباء الفاقة والبعد والشيخوخة ، وولد عقوق يغضب على والديه ، ولا يود ان يعرف زوجته لانه علم أنها تخدم في احد البيوت الشريفة تخلصاً مما هو ادهى وامرّ من الفقر

عقل راجح ولكنه بالسفه ، وفكر صائب ولكن هدف الضلال ، وشرف رفيع ولكن في فضاء الاوهام ! .

لو كنتُ يا هذا ممن أُلقي اليهم مقاليد امرك وعلمتُ

ان سيقوم بين منكبيك رأس ستحشى خلايا دماغه بمثل هذه السخائم والرذائل لحكمت بجزه قبل استفحال شره

اذا كنت لا تريد ان ترى زوجتك يوماً ما خادمة فما كان احراك بان تعمل لها في ارض الغربة وتكفيها شر الخدمة

اذا كنت ترى الخدمة حرفة منحطة بالنسبة الى الشرف الانساني فما كان احراك بالترفع عما هو احط منها في ارض غربتك ، تنهى عن امر وتأتي مثله ؟ عار عليك عظيم ..

كلنا خدام في هذا العالم قُسِمَ لنا ان لا نأكل الا بعرق يتصبب من جبيننا وانت تغضب لانك تريد ان يكون العالم الذى خرجت من حكمه عالماً فاسداً يعيش بالروح الشريرة التي نفخها في منطسك شيطان البطالة

على رسلك يا هذا ، ولا تغضب ، وتبصر في عملك تجد نفسك مخطئاً امام زوجتك واهلك . تجد ان لك في وطنك امرأة قضى سليمان عمره في التفتيش عنها فلم يجدها امرأة امينة وفية قائمة على عهدك . امرأة تعمل بعرق جبينها لتصيب رزقاً

لشيخين عاجزين . امرأة حرة تذود عن حوضك بعمل يديها ، وتصون عرضك بعرق جبينها . . وأنت تكافئ هذه المرأة بالهجران والقطيعة . بئس ما انت فاعل يا هذا ، ولك المنايا ما اقساك وابعدك عن الانسانية !

***

لننتقل الان الى الجاني الثاني فانه بعد ان عاد من اميركا ناقلاً في عروقه وبين طيات ثيابه جراثيم الداء الوخيم ، اخذ يعايش امرأته فانتقل اليها الداء ، فامست المسكينة مبتلاة من حيث لا يدري ولا تدري ، واصبحت تمشي على استحياء ، لا ينظر اليها احد الا ويرى على وجهها آثار القسوة ، ويقرأ في عينيها المريضتين جريمة الرجل

هذه هي الخسة بعينها ، والدناءة باشنع مظاهرها !

ماذا يبغي الرجل الاثيم من امرأة بريئة ؟ ألم يكفه خيانته لها بعيداً عنها حتى يخونها ايضاً قريباً منها ؟ يا ويل المرأة من الرجل !

كلما طلبنا الرفق والرحمة لهذا العضو الضعيف ، تفننا

اكثر في ظلمه وامتهانه . وكلما قلنا : نساؤكم وعاء النسل ، وظرف الحمل ، حافظوا على سلامة اجسامهن ، دسسنا مع الدسم سماً في تلك الاجسام ، ومثلنا فيهن الجريمة أشنع تمثيل

هي حيوانية الرجل ، قد تتغلب على بصيرته فلا تمهله ريثما يحصل على الشفاء مما به من الداء ..

مصونات تزول ، ومحاسن تشوه ، ونسل يجنى عليه ، بلا اثم ولا حرج ، فيا لله ما اكثر مخازي الرجال ! ..

اما الجاني الثالث فهو ككل شاب في مقتبل العمر ، يطل من نافذة الصبا على مسرح البلوغ يحسب ان السعادة جد السعادة في فتاة يضمها الى صدره ، وجميلة يلقي على خدها قبلة من فمه ، رضي ان يختار له والداه صبية من بين صبايا بلده ، وان يعقدا اكاليله عليها ...

وبعد ان استمرأ اللذة التي توهمها منتهى السعادة ، واجتاز شهر العسل الذي ملأ ما بين ماضغيه حلاوة كادت تنقلب الى مرارة ، عاد وافتكر ان سعادته لا تتم الا بالتغيب

عن زوجته بضع سنين والسفر الى اميركا ٠٠

شهدتُ يوم سافر هذا الشاب موقفاً تبيضُّ له نواصي الولدان ، ويلهب بين احناء الاضالع نيران الاحزان ٠ شهدت صبية القت راسها عَلَى صدر افتى شتّ ذهنه ، وهمى دمعه ، والتفت حواليه كمن غاثت بعقله جِنّة ٠ شهدت صبية دامية الطرف ، ذابلة الجسم تلوح بمنديل في يدها لشاب اخرج رأسه من نافذة القطار اثناء سيره محيياً زوجته واهله تحية ربما كانت الاخيرة

مهلاً ايها الراحل الباكي ان بكاءك وتاثرك لوقتيان سوف تنسيكها ملاهي العالم الجديد ومسارح ظبائه ٠ اما حزن زوجتك وبكاؤها فهو اعظم من ان يجول في وصفه قلم كاتب لأن شقاء حظها قادها الى عش شاب غاشم لا يفهم معني الزواج ، ولا يعرف المرأة الا بهيمة يجب عليها ان تطيعه ، وتقيم عَلَى عهودها له ولو هجرها العمر كله ٠ الى عش شاب لم يتخذها آلا ليلهو بها متى اراد ، و يقذف بها متى شاء ، له الحرية ولها الرق ، له الامر ولها الطاعة ٠ ٠

أَية مشيئة ، بل أَية شريعة ، تجيز لشاب ان يترك زوجة عايشها شهر العسل ثم خلفها عالة عَلَى نفسها وذويها ، ربما الى ما شاء الله ...

أَية مشيئة بل أَية شريعة ، تأمر بتعذيب نفس بريئة ، لم يعد في الامكان فصلها عن معذبها ، لان « الذى يجمعه الله لا يفرقه انسان » . نجل الله تعالى عن ان يرضى عن عذاب نسمة من نسماته ...

ماذا يهم الشاب وامامه في اميركا ما شاء من الغانيات واي رادع يردعه عن خيانته لزوجته ما دام ضميره متحققاً قيامها عَلَى عهودها له ، وما دامت هيئة العالم التي تسلخ المومسة عن جامعتها الضالة ، تسمح له ان يسير الخيلاء مدلاً بخيانته ومفتخراً بنذالته . ؟ . .

ما اكثر ما يتبسط الخائنون الظالمون الاثم والمنكر في ارض المهجر ، وما اكثر ما تزدحم سوريا وفلسطين بالبائسات المظلومات ، فرفقاً بسكن الضعف ، ومهبط اللطف ايها الرجال ! .

# الاستقلال الذاتي

## أو الاعتماد على النفس

محاضرة القاها المؤلف في المنتدى الادبي في القدس في شهر
كانون اول سنة ١٩١٩

سلامٌ عَلَى معشر الحكمة شموس الحقيقة والفطنة
سلام فخورٍ بأمثالكم أيا أدبا هذه البلدة

***

دعاني الى وقفتي هذه شعورٌ وقفتُ له مهجتي
ولولا شعوري ولولا حنيني الى منتدى هذه الروضة
ولو لا خصال عرفتم بها وحلم وعفوٍ عن الزلة
لما قمت فيكم خطيباً جريئاً أرى الفخر والعز في وقفتي

***

يحييكمُ سادتي شاعرٌ ومالي عَلَى الشعر من قدرة
وما قمت انشد شعريَ الا بعيد اللتيا وبعد اللتي

فماذا عساكم تقولون عني اذا ما وقفتم عَلَى هفوتي
اذا ما رأيتم فؤاداً خفوقاً جموم التلوع واللهفة
اذا ما اطلعتم على سر قلبٍ كثير التجني عَلَى مقلتي
يحاربها ليله تارةً ويحرمها لذة الرقدة
واخرى يهاجمها عنوةً بدمع يسيل على الوجنة
وكيف يزور الكرى مقلتي وقومي عن السعي في غفلة
ولم لا تقرّحُ عيني الدموع ونحن من الجهل في حفرة
الا حسبُ قومي هذا الرقود الا لهف نفسي على امتي
اما حان وقت النهوض فلم لا نحثُّ النفوس الى النهضة
لنرجع مجداً قديماً مضى بنتهُ الأعارب بالعزّة
وعصراً مجيداً محا رسمه جمود العواطف والهمّة
أنرضى بعار السقوط ونحن سلالة قومٍ ذوي نخوة
ونشرب كأساً أبى شاربها جدودٌ ببغداد والبصرة
اذا دام هذا الرقود طويلاً فواحرَّ قلبي وواحسرتي !
غدونا وراء الشعوب وبتنا نتهته كالطفل والشيخة

حسبنا الخمول دلاً وغنجاً ومَوت الشعور من الرقة
وقد فات أهل بلادي أنّ دلال الرجال من الحرفة
وأن الرجولة فخر الفتى وان الانائة للمرأة
الا فاعذروني اذا ما افتتحتُ حديثي معكم بتي الجرأة
فما الشعر إلاّ لسان القلوب فرفقاً بشعريَ يا سادتي

سادتي !

عندما انتدبتُ للخطابة في حضرتكم شعرت في داخلي بشعلة حماس احيت ميت آمالي واضرمت ما بين جنبيّ جذوة عواطف كانت مخبوءة خلل رماد اليأس، وعندما تجسمت هذه الدعوة في مخيلتي واختمرت او كادت شعرتُ بجاذبٍ عظيم يجذبني الى هذا الموقف السهل المُمتنع ، وبدافع قوي يدفعني الى ارتقاء هذا المنبر المرتفع .. ولكن اتدرون ماذا كان يجول في فكري وقتئذٍ؟ انا لا اكتمكم سرّي بل ابوح لكم بحرية فكر اني كنت اقول آنئذٍ في نفسي: عندما تأتي ساعة الخطابة سأقف في المدعوين

وقفة الخطيب الخبير وسأخطب خطبة ليس لها نظير وسأتلاعب بالمعاني والعبارات تلاعب النشوان بالكاسات وسأخلب بها على خلاف العادة عقول السيدات قبل السادة ، وسادبجها باللفظ الغريب الدقيق ما يحملهم على تكرار التصفيق وسأتفنن في الايماء بيدي ، تفنناً لا يقل عن التفنن في الضرب برجلي ، وفي الآخر امدُّ يدي لمصافحتهم .. ومددت يدي يا سادتي فلطمت المصباح الذي كان قائماً على المائدة وكان الوقت ليلاً فتبادر الى ذهني اذ ذاك قصة الراعي والجرة فخشيت سوء العقبى ، وعدلت عن متابعة هذه الفكرة . لا ادري ما اذا كانت هذه التأملات تجول في فكر كل واحد قبل ان يرتقي منبر الخطابة . غير اني اقول لكم بحرية فكر انني بهذا كنت اعلل نفسي قبل ان اقدمت على وقفتي هذه ... وعلى ذاك وطدت العزم والعزيمة .. ولكن يا خيبة ما وطدت عليه العزم فاني ما اخترقت هذا الجمع واستويت على هذا المنبر حتى رأيت من مهابة الموقف وجلالة المقام ما سرى الى فؤادي وملأ ما بين جوانحي فان ساء فألي

واخفقت آمالي ولم افلح في خطابي فعلى مهابة الموقف وعظمة هذا المشهد أُلقي عبء العذل والملامة وان عكستم الآية ونسبتم اخفاقي لعدم الخبرة والدراية واحتدم بيننا الجدال وتجاورنا فمن هو الملوم فلا عجب ولا انذهال لان آدم وحواء ابوينا الاولين سبقانا الى هذا يوم خالفا الوصية واخذ كل منهما يُلقي ذنبه عَلَى غير نفسه .. ولا بدع اذا اشبهنا ابوينا الاولين في هذا الموقف ومن يشابه ابَهُ فما ظلم .

اي سادتي موضوع خطابي معكم الاستقلال الذاتي ولاول وهلة من سماعكم هذه اللفظة تخرج من فمي تقولون ولا شك ان هذا الموضوع ليس مجهول عندنا وليس غريباً عنّا ولا هو من المواضيع المبتكرة الخ .. نعم الموضوع ليس بمجهول ولا هو من المواضيع المبتكرة التي لم تتداولها اقلام الكتاب ولكن اسمحوا لي ان اقول لكم ان الاستقلال الذاتي غريب عنا عملياً ، براءة منا براءة الذئب من دم ابن يعقوب مجهول عند سوادنا الّا من ندر ولا حكم للنادر، ولذلك جعلته موضوع حديثي معكم هذه الليلة فتكرموا

عليّ بآذان صاغية تصغي لحسناتي ان كان ثمت حسنات وقلوب واعية تعي هفواتي وهنا اسمحوا لي بان اسحب كلامي الاول مع اعترافي بما انتم مفطورون عليه من الحلم والعفو وان اخالف غيري في مثل هذا المقام واطلب منكم ان لا تعفوا عن قصوري، ولا تسبلوا على هفواتي ذيل الستر والاغضاء والمعذرة لاني وان كنت خطيبكم هذه الليلة فما انا الا ملتقط على شاطيء بحر حقائقكم اتوق الى حكمكم الفاصل في هذا الخطاب ، حتى يتبين لي الخطأ من الصواب ، لان المرء مفتون ببنات فكره ، متسرع في نفثات صدره ، والمستبد برأيه عاجز جبان بالرغم عن انف الشاعر الذي قال : „إنما العاجز من لا يستبد“ .

* * *

اخواني ! لا شك في ان كل منا خلا يوماً بالتاريخ الذي هو لسان حال الاجيال الغابرة وخاض معه في حديث طويل اوقفه على اسرار كثيرة لها علاقة كبيرة بموضوعي هذا .

هذا التاريخ الذي خلوتم به ووقفتم على اسراره اطلعني

انا ايضاً عَلَى امور هامَّة لا مندوحة لي عن تذكيركم بها الان ، اطلعني على تقدم اقوام ، وتأخر آخرين ، وعلى اسباب رقي الامم الراقية وتدني الامم الدنيا ، علي تعمير اولئك الاجيال الكثيرة وسرعة انقراض هؤلاء

لعب العز والذل ادوارهما في الاعصر الخالية فكانا طوراً يتنقلان بين احياء العبريين والمصريين وأُخرى ياتيان بالعجائب والغرائب بحلولهما اضيافاً عَلَى الفينيقيين ، وكم اقامانا واقعدانا عندما كنا نراهما في العصر الروماني يلعبان الادوار المدهشة ويمثلان الفصول المبكية المضحكة ولم يكن حظ العرب من هذين السلطانين القاهرين باقلّ من حظ هولاء الاقوام منهما . العز والذل رافقا الشعوب قديماً وفي الاعصر الوسطى وهو ملازم لها في الاعصرَ الحاضرة وسير افقانهما في المقبلة الى ما شاء الله لان التاريخ يعيد نفسه

لا اظن ان احداً يعارضني اذا قلت ان الاستقلال الذاتي هو العامل على تقديم تلك الشعوب ، وخلو تلك من الاستقلال

هو الذي حطها من عال أشم الى مستوى الشقوة والذل . فالعز اذن هو بطل رواية الاستقلال الذاتي والاعتماد عَلَى النفس كما ان الذل هو بطل رواية التواكل والتعويل على الغير .

ولا بدع في ان الرقي في الأمم لم يتم الا على يد نفر قليل من العظماء النبغاء أولئك الذين انتفع باستقلالهم الذاتي وقيامهم بالأعباء العظيمة مجموع أمتهم ولا فرق بين ان يكون هؤلاء رجال حرب او علم او اكتشاف لأن كلامنا هنا عن تلك القوة الخفية الكامنة التي كثيراً ما أدّت الى تغيير وجه التاريخ والتي يجب ان تحنى أمامها الهام ألا وهي الاستقلال الذاتي

بهذه القوة التي أوجدها الله في موسى النبي تخلص العبرانيون بعد ان كانوا عبيداً ترهق أجسامهم سياط المصريين وبرجال كصولون وديموستين وأرستيديس وثيموستكل والاسكندر وغيرهم من عظماء الاغريق أقيمت قصور العلم والحضارة عَلَى أطلال اليونان وجرت أعظم الحوادث التي خلدت في بطن التاريخ وبرجال كيونيوس قيصر وبروتوس وكاسيوس وسيسرون

وفيرجيل ورملوس وسواهم ارتفع شأن الأمة الرومانية وعلت مكانتها وصارت رومية قطب دائرة الدنيا وأغنى مدينة في العالم

وبرجال كصاحب الرسالة الاسلامية ( صلى الله عليه وسلم ) وعمر بن الخطاب وابن العاص وطارق بن زياد تألف من العرب دولة انتصرت على الدنيا القديمة الاغريقية والرومانية وقهرت أمما شتى ونالت من الرقي الأدبي والمادي قسطاً عظيماً

في مثل هؤلاء الرجال تمثل الاستقلال الذاتي فدان لهم الحول والقوة فشحذوا همم أممهم فجاءت بأعمال عظيمة ارتقت بها شعوبهم وعصورهم ، وبرجال قاموا بعد هؤلاء خلت نفوسهم من كل عاطفة استقلال وتمكن منهم حب الذات وضاعت فيهم الفضائل والصفات الأخلاقية التي كانت سببا في عظمة الأمة وانصرفت هممهم عن الاشتغال بالمصالح العمومية انهدم مجد تلك الأمم كالعبريين والرومان واليونان والفرس والعرب وتشتت شملهم ودكت حضارتهم وأقيمت على اطلالها حضارات أخرى وذلك لأنها اضاعت العامل الاساسي الذي بدونه لا

فلاح لأمة ولا نجاح الا وهو الاستقلال الذاتي

ما لنا وللقدماء وأمامنا انجلترا واميركا الممدودتان في طليعة الأمم رقيا ومدنية فان الاستقلال الذاتي خلق في انجلترا شعبا متشبعاً بالحرية فامتلكوا البحار وأخضعوا الامصار ونشروا لغتهم وتجارتهم فملأوا بها الخافقين وهزأت قوتهم بكسرى وذي القرنين، فاخروا الارض بدولتهم والدول برجالهم . نشأوا على الاستقلال والحرية والاعتماد على النفس والمزاولة والثبات وانتهاز الفرص فخرجوا من تحت نير الأوهام والتقاليد حتى في امور دينهم لكي يتحرروا من كل سيادة خارجية غريبة عنهم . عشقوا الاصلاح فكانوا أول من انشأوا المجالس النيابية وكانوا ولا يزالون زعماء المصلحين وأئمة المفكرين حتى اتصلت عدوى الاستقلال الذاتي الى جنسهم اللطيف فقام على ساق وقدم يخالف قول الشاعر

كتب الطعن والقتال علينا وعلى الغانيات جر الذيول

ويطالب بتخويله حقوق التصويت والمساواة بالرجال في

القيام بأعباء الاعمال وذلك مما لم تسبقهن اليه امرأة في عصر من العصور ولا سمعنا به في أمة من الأمم

الاستقلال الذاتي هو الذي مكن أربعين مليوناً انجليزياً من ادارة مائتين وخمسين مليونا من الهنود منهم العالم والكاتب والفيلسوف والصانع والزارع والمثري والراقي في الفنون وهم لم يتمكنوا من نشر حكمهم على مستعمراتهم الواسعة التي لا تغرب الشمس عنها الا ببث روح الاستقلال والاعتماد على النفس في نفوس تلك الامم وبتركهم اياهم يحكمون انفسهم بانفسهم مكتفين من السيادة بجزء من الضرائب والمحافظة على الامن والنظام غير معترضين لعاداتهم واخلاقهم وشرائعهم . وأنى نزلت امة هذه ميزاتها يشتد ساعدها ويعم نفوذها ويرتفع شانها .

اما الولايات المتحدة فانها تضم شعباً هو سليل الامة الانجليزية الصكصونية نزح اليها ولم يكن فيها الا نفر قليل من المتوحشين فما هو الا قرن واحد فقط مرّ عليهم حتى اصبحت الولايات المتحدة في مصاف الدول العظمى على وجه المسكونة .

واني لا اقدر ان آتيكم بوصف يمثل آيات رقي هذه الامة المتحدرة من اصلاب السكسونيين أكثر مما اتانا به الدكتور جوستاف لوبون في كتابه «سر تطور الامم» الذي ترجمه من اللغة الافرنسية المرحوم الطيب الذكر احمد فتحي زغلول باشا قال واصفاً مزاج هذه الامة في صفحة ١٣٣ : «أخص ما يمتاز به هذا المزاج من حيث الخلق قوة ارادة قلما كانت لامة من الامم اللهم الا الامة الرومانية في الازمان الخالية وعزيمة لا تبارى وهمة عالية ومقدرة على النفس كاملة واستقلال يبلغ حد الخروج عن المدنية ونشاط قدير ومشاعر دينية شديدة وأدب ثابت ومعرفة واجب تامة» .

ثم قال في صفحة ١٣٤ : «جميع الصفات المتقدمة موجودة في طبقات الامة كلها فما منها الا وله اثر في عناصر المدنية الانجليزية يظهر ذلك لكل من زار بلادهم ولو بضعة ايام يرى الحاجة الى المعيشة الاستقلالية بادية في منزل احقر اجير فهو مسكن ضيق بالضرورة ولكنه منعزل لا يضايقه الجوار . ويراه في محطات

السكك الحديدية حيث يمشي الناس دائماً ولا يقفون متكأ كثين كقطيع الغنم المستسلم خلف حاجز محفور بالرقباء كأنما هم يسهرون على حياة اولئك القوم من الخطر لانهم لا يجدون من انفسهم حيطة يتقون بها دهس العربات · يرى عزية الشعب بادية في عمل الاجير الشاق كما يراها في عمل التلميذ ترك لشأنه فطفق يتعلم السير في الحياة وحده · وقد صار يعلم انه لا يهتم احد بمصيره الا نفسه · ويراها في عمل الاستاذ الذي يهتم قليلاً بالتعليم ويفرغ جهده في تربية الاخلاق لاعتبارها عنده اكبر عامل في حركة العالم[1]

واذا القى نظرة في الحياة العمومية وجد ان حركة الافراد لا قوة الحكومة هي التي تقوم باغاب الاعمال سواء كان المراد اصلاح مستشفى القرية او انشاء مرفإ بحري او سكة حديدية · ثم

---

(١) قررت الملكة فيكتوريا مكافأة سنوية لمدرسة (ولنجتون) وعهدت الى البرنس (البير) بتحديد شروط نيلها فقرر ان تهدى لارفع التلاميذ اخلاقاً لا لأكثرهم علماً ·

قال في صفحة ١٣٦ : « لانها هي الوحيدة التي عرفت كيف تحكم نفسها فتمكنت من ان تجدد لحكومتها اصغر دائرة ممكنة واذا تصفح تاريخها علم انها اول امة خلصت من كل سيطرة سيان في ذلك سلطان الكنيسة ام سلطان الملوك

اما حان ايها السادة بعد ان تحققنا ان تفوق الامم على بعضها والنجاح الحقيقي في تنازع البقاء هو نتيجة قوة لها قوة احدى العناصر الطبيعية ان آتي على تعريف هذه القوة المدعوة بالاستقلال الذاتي ؟ نعم اني اقرأ على وجوه اكثركم ملامح تشجعني على الاستطراد في خطابي - الاستقلال الذاتي هو اعتماد الانسان على نفسه ، هو انكار الذات ، هو قوّة كامنة في الصدر لا تعتم ان تظهر وتدفع صاحبها لاصلاح نفسه بنفسه ، هو الاعتقاد بان له قوة لا تعلوها قوة ، هو شبح مجسم تنهزم امامه جيوش الكسل والتسليم والتشكيك ، هو حكم النفس بالنفس ، هو نشاط وحركة ذاتية وهمة لا تعرف الملل ، هو نفس كبيرة لا يقف في سبيلها شيء ، تبدلك ما يعتريها من عقبات

ومحظورات بمنجنيق المزاولة والثبات والصبر، هو مبدأ حيٌّ يقوم في النفس حيث يأخذ العقل والفكر يتأثران ويؤثران ويعملان عَلَى محاربة الاستبداد والظلم وقهر القوة المطلقة بالحق الواجب . هو نفس حرة تأبى ان تكون هدفاً لاستئثار سواها، وتأنف من مجاراة الرأي العام والجماهير في الاندفاع بواسطة المؤثرات المحيطة بها كما انها لا تكون رقيقة قط للأكثرية، ولا ألعوبة في يد صندوق الانتخابات . هو خادم الانسانية بالقوى والمعارف، هو دستور ايمان تجتمع فصوله في لفظة "أريد" هو دستور غير منظور وإساس للقوانين الدستورية المنظورة . هو مزاج عقلي لا يتولد الا بالتربية الحقة والقدوة الصالحة والغيرة الأدبية . هو عدوّ الخنوع والخوف والاقامة عَلَى الضيم . هو مجموع فضائل وحسنات اذا اتصف بها رجل علت كلمته وارتفع شأنه وأقام من نفس امته صرح دولة قادرة

قال يوحنا ورتبات :

قيمة المملكة تتوقف عَلَى افرادها

وقال الطغرائي :

وانما رجل الدنيا وواحدها  من لا يعول في الدنيا على رجل

وقال آخر :

واني اذا باشرت امراً اريده  تدانت اقاصيه وهان اشده

وقال غيره :

لعمرك ان المجد والفخر والعلا  ونيل الاماني وارتفاع المراتب

فضائل عزم لاتباع لضارع  وأسرار حزم لا تذاع لعائب

وقيل :

لأستسهلن الصعب او ادرك المنى

فما انقادت الآمال إلا لصابر

وجاء في الأمثال :

ما حك جلدك مثل ظفرك  فتول أنت جميع أمرك

اما وقد عرفنا الان تعريفه فبقي علينا ان نعرف كيف ينشأ الرجل مستقلاً وكيف تمكن الناشئة الاستقلال الذاتي من نفسها ، فاسمحوا لي ان ابين حقيقة الاسباب التي تمكن هذه المزية

من نفس الامة ، فالاستقلال الذاتي هو نتيجة اسباب طبيعية واكتسابية اهمها اولاً : طبيعة الاقليم وتأثيره

قال العلامة ابن خلدون : « قد رأينا في خلق السودان عَلَى العموم الخفة والطيش وكثرة الطرب فتراهم مولعين بالرقص عَلَى كل توقيع موصوفين بالحمق في كل قطر والسبب الصحيح في ذلك انه تقرر في موضعه من الحكمة ان طبيعة الفرح والسرور في انتشار الروح الحيواني وتفشيه وطبيعة الحزن بالعكس وهي انقباضه وتكاثفه وتقرر ان الحرارة مفشية للهواء والبخار مخلخلة له زائدة في كميته ولهذا يجد المنتشي ( السكران ) من الفرح والسرور ما لا يعبر عنه وذلك بما يداخل بخار الروح في القلب من الحرارة الغريزية التي تبعثها سورة الخمر في الروح من مزاجه فينتعش في الروح وتجيء طبيعة الفرح ولذلك تجد المتنعمين بالحمامات الوطنية ( التركية ) اذا تنفسوا في هوائها واتصلت حرارة الهواء في ارواحهم فتسخنت حدث لهم فرح وربما انبعث الكثير منهم بالغناء الناشيء عن السرور ولما كان السودان ساكنين في الاقليم الحار واستولى

الحر على امزجتهم وفي اصل تكوينهم كان في ارواحهم من الحرارة عَلَى شبه ابدانهم واقليمهم فتكون ارواحهم بالنسبة الى اهل الاقليم الرابع اشد حراً فتكون اكثر تفشياً واسرع فرحاً وانبساطاً وسروراً ويجيء الطيش عَلَى اثر هذه وكذلك يلحق بهم قليلا اهل البلاد البحرية لما كان هواؤها متضاعف الحرارة بما ينعكس عليه من اضواء بسيط البحر واشعته كانت حصتهم من توابع الحرارة في الفرح والخفة موجودة اكثر من بلاد التلول والجبال الباردة وقد نجد شيئاً يسيراً من ذلك في اهل البلاد الجزيرية من سكان الاقليم الثالث لتوفر الحرارة في هوائها لانها عريقة في الجنوب عن الارياف والتلول واعتبر ذلك ايضاً باهل مصر فانها في مثل الخ . . »

انتهى قول ابن خلدون ولو عرف هذا العلامة يومئذٍ بريطانيا العظمى والولايات المتحدة واليابان لاستشهد بها بدلاً من فاس .

ثانياً : المهاجرة — وهي تولد في النفس ثورة تحمل

صاحبها على استخدام جميع مواهبه والتماس كل المداخل والمخارج للحصول على ما كان يصبو اليه من النجاح قبل هجرته ، بل انها تجعل منه انسانًا جديدًا يسعى في تقدم نفسه بنفسه فيتعود الاستقلال بشؤونه ويستيقظ من نومة طال عليه الغيب فيها ويأخذ يتخلص من نير تقاليد وعادات متوارثة كانت حجره عثرة في سبيل تقدّمه وينشط من عقاله وترتفع نفسه عن الدنايا ، ويبعد بها عن الخسائس : واقرب شاهد على ذلك مهاجرة السوريين الى اميركا وما وصل اليه اكثرهم من النجاح الذي لم يخطر على فكرهم ولم يحلموا به في السابق . وقد قال حافظ بك ابراهيم يصف السوريين في المهجر :

في ارض كولمب ابطال غطارفة

أسد جياع اذا ما ووثبوا وثبوا

ومنها القدوة ويدخل تحتها ثلاثة امور هامة : (أولها) البيت ، (ثانيها) المدرسة ، (ثالثها) المحيط الخارجي أو العالم .

البيت : لا يستقل الرجل بنفسه عن غيره إلا متى كملت

تربيته . ولما كان البيت هو الحجر الاول من اساس التربية اقتضى كمال التربية أن يكون مؤسساً عَلَى اساس مكين يؤهله ان يقيم عليه بنياناً سامياً من حياته المقبلة، ولا يتم هذا البنيان إلا اذا كان كل من رب البيت وربته ممن يحسنون البناء ، ويعرفون كيف يربون اولاداً اقوياء بانفسهم . لان الوالدين مرآة الطفل مكوناً منهما جنيناً ، ومقلداً لهما طفلاً وممثلاً اياهما شاباً . فان كان عَلَى اسس متينة من الصفات الاخلاقية والعوامل الاساسية التي ترمي الى الاستقلال في الاقوال والافعال اصبح صغارها سعداء عند ما يصيرون رجالاً والعكس بالعكس .

قال بوب للورد هرفي : حسبي فخراً انني لا أخجل بوالديّ ولم يخجلا بي وهنا لا أجد بداً من ان اقول : ان عَلَى المرأة في مثل هذا الحال ان تكون عَلَى جانب عظيم من التربية الجسدية والعقلية ولا يكفي ان يكون الرجل وحده حائزاً عَلَى الخلق الحسن والتهذيب الصحيح لان الطفل ملازم لامه في البيت بينما يكون الرجل منصرفاً الى اشغاله خارجه هذا علاوة عَلَى تكونه

من جسمها جنيناً وتغذيته من لبنها طفلاً مرضعاً · ومثل هذه المرأة الفاضلة يصح فيها القول المأثور « تهز السرير بيمينها وتهز العالم بيسارها » اي بتربيتها تربية صحيحة · لانه يستحيل وجود رجال ناجحين ان لم يكن لهم امهات قادرات على ان يهيئنهم للنجاح ويخطئ كل الخطأ من حصر وظيفة المرأة في الولادة فقط لانه لم يخرجها في حصره هذا عن هرة ولود ولم يميزها عن احدى اناث سائر الحيوانات · نعم إن المرأة تلد الاولاد ولكن هي التي تصوغهم رجالاً ايضاً ولذلك يجب ان تقدم تربيتها وتعليمها على تربية الذكور وتعليمهم لانها ليست تلك الآلة التي وقفها الاسبقون الغافلون على التناسل فقط ·

قرأت في جريدة لا اتذكر اسمها ان جمعية النساء المطالبات بحقوق الانتخاب في الدنمرك طلبت من جمعية نسائية في اليابان أن تعضدها في المطالبة بانتخاب النساء في المجالس النيابية فردّت عليها معتذرة قائلة :

نحن النساء اليابانيات مشغولات بتربية ابنائنا تربية تؤهلهم

الحياة الاستقلال . ولهذا نرى اننا اذا تعلقنا بالامور السياسية التي يشتغل بها رجالنا لم نستطع القيام بعبء الواجب المطلوب منا والسلام.

وظيفة المرأة الجوهرية اذن هي تربية اولادها تربية تؤهلهم لحياة الاستقلال ولا عبرة لقول الشاعر: كتب الطعن والقتال علينا الخ

ولا اتصدّى الآن لانتقاد الشعراء فقد سبق الحكم عليهم بانهم يقولون مالا يفعلون وفي كل وادٍ يهيمون . .

ذكر ابو الفرج الاصبهاني في كتاب الاغاني ان رجلاً قال لجرير « من اشعر الناس ؟ فقال له قم حتى اعرفك الجواب فاخذه بيده وجاء به الى ابيه عطية وقد اخذ عنزاً له فاعتقلها وجعل يمص ضرعها فصاح به اخرج يا ابت فخرج شيخ دميم رث الهيئة وقد سال لبن العنز على لحيته ثم قال: اشعر الناس من فاخر بمثل هذا الاب ثمانين شاعراً وقارعهم به فغلبهم جميعاً »

وقال اللورد لنديل عندما التفت الى صلاح امه : اذا وضعت

العالم بأسره في كفة ميزان وامي في الكفة الاخرى لرجحت عليها رجوحاً بليغاً ٠

يا ابنة بلادي لقد آن الوقت لأن تمحي عنك ذلك اللقب الذي نعتتك به اختك الاوروبية Fenéante اي كسولة محبة للراحة لقد آن لك يا من انتخبتك طبيعة الوجود لتجعل احشائك مصنع الانسانية الحقيقية و ثديك ينابيع الحياة الفاضلة ان تفهمي ان هذه الاحشاء وهذين الثديين لم يوجدا لمجرد متاع لذة الرجل وحسرته ٠ لقد آن لك ان تعرفي انه يستحيل عَلَى هذا الشرق الجميل نهوضه من كبوته ما دمت تجهلين وظيفة الامومة الحقة وتتمسكين باختلاق الحيل والاكاذيب لتظفري بما تتوق اليه نفسك انت اذا لم تعدي نفسك لتكوني ملكة الرصانة والعفة والتعقل غذراء كنت او ذات بعل تطاول الى مدينة انانيتك المقدسة المتطاولون ونال منك الخليعون المجهولون ما يقضي عَلَى شرفك ويفقدك أعز واثمن ما تتجمل به الام وهو العفة فينهار بناء عائلتك وتكونين معرة عَلَى زوجك وولدك وعضواً فاسداً في جسم العائلة البشرية

لا يمهل حتى يقطع وينبذ خوفاً من سريان عدواه الى باقي اعضاء الجمعية البشرية

بهذا القليل أقتصر عَلَى ما للتربية البيتية من التأثير على اخلاق الطفل ولئلا يشت بي الموضوع استطرد البحث فاقول كلمتي في المدرسة

ليس من ينكر ما للمدرسة من الاهمية العظمى في نظر التربية والتهذيب واعني بها المدرسة التي تبث في قلوب تلاميذها المبادئ القوية ومضاء العزيمة وعلو الهمة وقوة الارادة وباقي الصفات الاخلاقية التي ترمي الى الاستقلال بالذات استقلالا تاماً لا تلك المدرسة التي لا تجد عَلَى مقاعدها إلا صبياناً يرعاها معلمون ليسوا عَلَى شيء من الصفات الاخلاقية الآنفة الذكر فينشأ خريجوها عَلَى الجبن والانكماش والكذب والرياء والخداع الى غير ذلك من الصفات التي ترمي الى تسفل الخلق والسقوط في معترك الحياة . قال احد كبار القواد واعظمه ولنترون : بالمدرسة فتحنا العالم اي بالتربية والتعليم وما احرانا بأن نضن بأولادنا عَلَى مثل هذه المدارس المخطئة وأن لا نكلهم الى معلمين لا يتسمون حتى

يعكسوا اليهم ما انحط من مبادئهم واخلاقهم ٠

ان وقوف التلاميذ عَلَى تراجم مشاهير الرجال يولد فيهم حب ( القدوة ) والقدوة من الامور الفعالة في نفس المتأمل وحري بهذه الكتب اعطاؤها المنزلة الاولى بعد الكتب المنزلة لان فيها امثلة كثيرة للاعتماد على النفس وثبات العزم وعلو الهمة والاجتهاد والامانة لانها تتلو علينا بلسان فصيح أن اعتناء المرء بنفسه والاعتماد عليها يكسب الذكر الحسن والنجاح المنشود ٠

ولا يصعب حينئذٍ عَلَى التلميذ مهما كان خاملا بعد ان يعرف ان روزفلت ابن تاجر بقر وروكفلر كان ماسح احذية وشكسبير رأس شعراء الانجليز مجهول الاصل واديسون بائع جرائد وأبا الطيب المتنبي ابن سقاء وأبا العتاهية فخاريا والزجاج النحوي خراط زجاج والحجاج ابن يوسف ليس من سلالة الامراء وبدر الجمالي كان عبداً عند جمال الدولة ابن عمار فصار بجده واجتهاده وزير السيف والقلم عند الملك المستنصر ٠ عندما يعرف ان هؤلاء وكثيراً غيرهم ارتقوا بجدهم وكدهم واعتمادهم على انفسهم

لا يلبث ان يشمر عن ساعد الجد والعمل ليبلغ ما بلغوه و ينال ما نالوه ، قال أبو الطيب المتنبي :

على قدر أهل العزم تأتي العزائم

وتاتي على قدر العظام العظائم

المحيط الخارجي او مدرسة العالم — يخرج الشاب من بين جدران المدرسة وهو يجهل الفرق العظيم بين المدرستين فان كان على اساس متين من التربية الصحيحة والمبادئ العالية والاخلاق القوية عرف كيف يسير في مسالك الحياة الوعرة ليكون رجلاً نافعاً لنفسه ولوطنه ولاسرته . اما اذا كان على غير ما ذكرنا من الصفات الاخلاقية والتربية الحقة فقد ضل سبيل الهدى وخبط في مسالك الحياة الوعرة خبط عشواء وكان عالة على نفسه وعلى وطنه وعلى اسرته .

قد يكون الشاب اديباً ذكياً ذا خلق رضي وممن اعتني بتربيتهم التربية الصحيحة غير اننا لا نلبث أن نراه بعد حين من

دخول مدرسة العالم خاملاً جامداً لا يدري كيف يعمل لينتفع وكيف يدور لينفع · آلة تديرها الظروف وتلعب بها العبر · توقفه اقل حركة تعترض سيره ويخيفه ابسط حادث يطرأ على اعماله و يستولي عليه اليأس لاول فشل يصادفه اثناء سعيه وراء ما تصبو اليه نفسه · فمثل هذا ولو كان على ما ذكرنا فان واحدة تنقصه الا وهي قوة الارادة ·

قرات عن أحد مشاهير القواد واظنه نابليون بونابرت انه بينما كان يحاول اخذ احد الحصون وقد هاجمه اولاً وثانياً فاستعصى عليه وارتدعنه بالفشل اذ راى نملة حاملة حبة حنطة تحاول ان تتسلق مكاناً عالياً تدخر فيه مؤونتها وكانت كلما دنت من ذلك المحل تخونها القوى وتسقط بما تحمل على الارض وكررت عملها هذا عدة مرار ونابليون يتامل الى ان ادركت غايتها وثبتت في مكانها فضرب بونابورت بيده الى جنبه وقال : نابوليون أهذه النملة التي لا تدرك خطاباً ولا تحير جواباً · ادركت غايتها بصبرها وثباتها فكيف بك وانت انسان عاقل يضرب اليك

الضعف وينقصك الثبات وترتد عن هذا الحصن بالفشل فما كان منه الا ان جمع اليه قواه وحمل على ذلك الحصن حملة انتهت باستيلائه عليه .

ليس اضر على من يريد ادراك النجاح في حياته مثل فقدان الامل والاستسلام لليأس والضعف . قال الشاعر العربي :

تريدين إدراك المعالي رخيصة    فلابد دون الشهد من ابر النحل

وليس اسرع الى توليد الضعف واليأس في قلب الرجل مثل الميل الى البطالة والانعكاف على الملاذ والشهوات ومعاشرة من عشرتهم تفسد الاخلاق الصالحة .

العالم بحر دائم الهيجان اذا سقط فيه آدمي لا يحسن السباحة تغلبه الامواج مهما عمل على مغالبتها ويقتبل تيارها انفاسه الاخيرة قبل ان يدرك ميناء السلامة .

العالم حرب لا يخرج منها ظافراً الا الجسور الشجاع والصبور الثابت والفتى الراقي بادبه ومبادئه واخلاقه ولا بقاء الا للافضل والاصلح .

العالم رواية هزلية جدية لا يحسن تمثيلها الا من عرف كيف يمثل ادوارها والاجدر بمن هو كذلك من الشعوب والافراد ان يكون بطلاً لهذه الرواية والسلام ·

## الجمال

« الجمال دين الحكماء »
« شاعر هندي » .

رأيت الكاتب وقد دقّ جرس الستين من عمره منحنياً على منضدته يحبّر المقالات العاليات ، ويسود الصفحات بلذة وارتياح ، غير حافلٍ بما يفرزه فؤاده من دمٍ لا يعتّم حتى يمتزج بمداد قلمه

رأيت الشاعر يتجرّد عن جثمانه ، ويحلق بأفكاره ، ويستسلم للخيال ، ليخرج من عالم الغيب الى حيز الوجود قصيدة ارقّ من النسيم والطف من الاثير · رأيته وقد لعبت به حميّا الشعر كمن اخذته صيغة النبوّة يستغيث بابنة جوبتير — كاليوبي —

الاهة الشعر لتوحي اليه من عندها بآيات بينات تفي بوصف ما تصوَّره من منظر حسن ومشهد مؤثر

رأيت الجندي والموت عن يمينه وشماله ومن ورائه يتبعه دافعاً اياه في ميدان القتال الى موت آخر امامه ، وهو بقوة غير منظورة يتحول الى ما هو اقوى من الموت ، واخف من الهواء ، واسرع من البرق ، ويخرج من غمرات المعمعة سالماً صحيحاً ، وبيده راية الغلبة مخضبة بحمرة الموت ، تلعب به سورة النصر

رأيت الانسان وقد ضاقت به الارض على رحبها يصل بياض نهاره بسواد ليله ، ضارعاً بكل ما فيه من قوى الادراك والفهم الى موحيات العلم لتعيره اجنحة الطيور وافلاك الاجرام ليتمتع بجمال لم تره عين ولم تسمع به اذن . رأيته محلقاً في الجو ينظر الى الهواء — اعظم عناصر الطبيعة — بعين الازدراء ، ماخراً بمنطاده اوقيانوس الفضاء الى عالم السماء غير مكترث لتهديد الارض للانسان والانتقام منه بموت السقوط الفاغر فام

رأيت الفتى يسهر الليالي الطوال ، ويجاهد الايام ويهرق دم شبابه على قدمي الفتاة ، يخالف وصية الله الخامسة و يفتك بابيه وامه . رأيته كالمجنون يبكي سرًّا ويضحك جهرًا . ينتحر : يجرع باختياره السمّ الزعاف ، ويلقي بنفسه الى النهر ، ويقتبل من فم المسدس بلذة وسكون الرصاص القاتل المندفع الى صدره بقوة

رأيت داود التوراة ينازل جليات الجبار ويقتل من الفلسطينيين مئتي رجل ويستهين بزيت المسحة الذي صبته شيوخ بني اسرائيل عَلَى رأسه . رأيته وهو النبي والملك يوصي قائده يوآب ليجعل اوريّا الحثي في وجه الحرب الشديدة لِيُضرب ويموت .

رأيت بشر بن ابي عوانة يخاطر بنفسه ويسلك طريقًا تحامت عنه العرب ، وينازل الاسد ، ويخترط سيفه اليه ، ويملأ فمه فخرًا كاتبًا بدم الاسد عَلَى قميصه الى ابنة عمه فاطمة قصيدته المشهورة التي مطلعها :

افاطم لو شهدت ببطن خبتٍ  وقد لاقى الهزبرُ اخاك بشرا

رأيت احشورش يجود بنصف مملكته ، ويبقي على اليهود اكراماً لاستير ، التي لولاها لفلج هامان بما امّله ، وانقرض شعب اسرائيل من خريطة الوجود

رأيت انطونيوس القائد احد الشركاء في الدولة الرومانية يقضي على الدولة البطليموسية بتركه زوجته اوكافية ، وحرقه بخور العبادة مطروحاً على الركبتين تحت اقدام « كليوبطره »

رأيت الملتحف بالمسوح السود ، يمزّق رداءه ، وينسلّ تحت جنح الظلام مرتدياً بسواد الليل ، عابثاً بنذر البتولية وساخراً بشرع الرهبانية ليسلم قلعة قلبه الى من حاصرها وتغلب عليها

رأيت الجميع سكرى بخمرة ليست من عصير هذه الكرمة ..
بخمرة تسكر الشارب والساقي معاً : سيّالها من نهر المجرّة وخضابها من الوان قوس قزحَ ، تسمّى « جمالاً »

الكاتب والشاعر والجندي والانسان والفتى وداود و بشر

بن ابي غوانة ، واحشورش وانطونيوس ، والمتحف بالمسوح السود ، هؤلاء كلهم من عباد « فينيس» الاهة الجمال ، الصاعدة من وسط الامواج مع زبد البحر ، عند هبوب نسيم الربيع غير ان منهم من لم يفهموا فينيس فأساؤوا اليها من حيث لم يتعمدوا اساءتها

منهم من مسوا بعبادتهم للجمال عواطف فينيس ، فسترت هذه وجهها بقناع كثيف خجلاً واستحياء من قبائح الانسان التي شوّهت محاسن الجمال

ومنهم من فهموا معنى الجمال ، فشربوا نخبه ، ثملين بخمرته السماوية وعبدوه عبادة حفظت له مصوناته ومحاسنه ، هؤلاء هم الحكماء

اوحت « فينيس » الى هؤلاء من عبّاد الجمال ، بالاعمال العظيمة والنفوس الكبيرة ، وخصت اولئك بالصغارة ، وضعف الهمة

« فينيس » منذ الفي سنة كانت الاهة عباد الحقيقة

والجمال من اليونان والرومان، وهذه الالاهة الوهمية التي اوجدتها فكرة الانسان الخيالية ، هي التي اوحت بالاعمال العظيمة الى نوابغ ذلك الزمان . فما قولنا اليوم والوهم قد انقشع وعرف الناس اجمع ، اله الالهة ، ممثل الحقيقة ومبتدع الجمال

الجمال اعظم نعمة انعم بها اله الالهة عَلَى ابن ادم ليتمتع بها . هذه النعمة ، التي تمثل رقة نسيمات السحر وارج زهور الحقل ولطف ضوء القمر ، قد امتُهنت من ابن آدم

هذا المخلوق المتمرّد ، العابث بالمحاسن الطبيعية يتخذ النفس التي فصلها اله الالهة عن ذاته وجعلها السلم الموّدي الى الكمال والحقيقة ، مسرحاً تمثل عليه ابطال الاميال ، عواطف الانانية وادوار الشهوات! ..

أي آدم! كانت الحياة فردوساً غرسته الملائكة بشجيرات السعادة ، فحولته اميالك الى برية تنبت فيها اشواك الهم ، وحسك الشقاء . كانت مرآة الحقيقة المجرّدة ، وعلم الفرح الدائم .. فانعكست الحقيقة ، ونُكّس العلم ! . كنت وكانت ،

فانظر الى ما انت عليه كائن !..

جنايتك يا ابن آدم عَلَى الجمال اورثتك قوة عمياء وثورة جنون جعلت حياتك موتاً وموتك حياةً !

فيا إله الآلهة الحقيقي ! يا مَن جبلت الانسان من تراب الضعف ، ورمل الحيرة ، ونفخت فيه حياة هي خيال الموت ، لا تؤاخذه بجريمته وجنايته عَلَى صورتك ومثالك ، فإنك وان وضعت في اعماقه بصيرة ترى ما لا يُرى — فقد سكبت بين جنبيه قلباً خفّاقاً ، يهيج لأقل المؤثرات ، وعاطفة رقيقة تسيل مع الفتنة والسحر السائلين مع جمال الاجسام والخيالات !!..

# لهفي على مدنية اوروبا

في اواخر الشهر السابع من سنة القرن العشرين الرابعة عشرة انقلبت اوروبا الحمل الوديع الى ذئب مفترس، اوروبا الفتاة الجميلة الى عجوز شمطاء يجلب منظرها الهلاك والدمار . اوروبا البقعة المحلاة بازهار النور والمدنية تتحول فجاة الى بركان تندلع منه نيران الظلمة والهمجية . لهفي عَلَى اروبا ولهفي على مدنيتها! ما لغليوم ولهؤلاء الشباب الابرياء يقذف بارواحهم في يم لاصوت للحق في لعلعة سيوفه ولا اثر للعدل في دوي قنابله ! أوطنية وغيرة كل ذلك ام هو استسلام اعمى لمطامع لاحدّ لها ؟ بئست هذه الوطنية ، وقاتل الله شعباً لا ينتفض على قيم يسيمه انواع الخسف ويقوده الى مجزرة تضاءل فيها مشرف الحقوق البشريه تحت مشتبكات السيوف الظالمة

الشيخ الوقور الذي كانت تنحني امامه هامات الملوك العظام

قد اخطأ باشهاره سيف القوّة علَى الضعف وجرّ عشرين مليونا من الجنود الى تحويل اوروبا الجميلة الى مجزرة هائلة و بارجاعه قرن الكهربائية والبخار الى قرون الدم والحديد !

ما عهدنا بفرنسيس وهو ذلك الشيخ الذي اكل الدهر عليه وشرب ينصاع لارادة عاهل ارتكبت جنوده اكبر جريمة ضدّ الحضارة والمدنية منذ حرب الثلاثين واعني بها حرق «لوفان» وتدميرها وحرق ٢٠٠٠٠٠ مجلد من الآثار والتحف التي لا تثمن بثمن !

ان روح الديمقراطية التي أُجبرت علَى مدّ عنقها الملوك الهّو القوّة وعبدوها وقرّبوا علَى مذابحها ثمار الروح البشري المطلق لمدينة لدول ليبّين استغاثتها كرها و بضمير نقي للفصل بين القوّة والحق وفدين بأرواحهنّ ودمائهنّ الطاهرة نزعة الاستقلال التي غرسها الفلاسفة والعلماء والتي هي ينبوع الوجود الوطني ومصدر الحياة القومية

في سان جورج ودياست ولوفان ولبكسه ومولان بالبلجيك

بيوت آمنة دخلها جنود هتكوا استراعراضها المحصنة، وختموا افظائعهم باخراج النساء من خدرهن وهن جفن[1] سلاح عاريات ثم يجردون حرابهم من اغمدتها ويطعنون صدور تلك البائسات طعنات نجلاء يصرخن على أثرها صرخات موءلمات تمزق القلوب وتقطع الاحشاء!

ماضرّ وهلم لوابى رجاء القيصر الروسي عندما دعاه الى عقد موءتمر تحل فيه عقدة الخلاف بين النمسا والسرب حلاً سلمياً تعوض فيه الاهانة التي لحقت النمسا في كارثة سراجيفو بما يرجع للنمسا كرامتها المفقودة ومهابتها المنشودة؟

أتقف الدول العظمى امام هذه الفظائع موقف المتفرّج ولا ترهب محكمة ضمير الامم على الارض والقاضي العظيم في السماء ولا تخفّ الى امتشاق الحسام لايقاف عاهل بلغ منه التهوّر مبلغاً حمله على المقامرة بوجوده ووجود مملكته عن العبث بمحاسن القرن العشرين ومدنية القارة الاوربية!

لهفي على شباب تمزق اجسامهم كرات المدافع بلا اثم ولا

---

(١) حبالى

حرج ومن خلفهم في مساقط رؤوسهم على مدرجات آبائهم وأجدادهم ، أطفال تبكي وأخوات ينذبن وآباء ينادون بالويل والثبور وزوجات يعولن ، وأمهات ينحن . . . . . . لهفي على عقول تشع ذكاء ، لهفي على رجال لو أمهلتهم هذه الحرب المشؤومة قليلا لخدموا المعمور اجلّ خدمة ولخففوا من ويلات البشرية وجعلوا هذه الارض جنة تجري من تحتها انهار السعادة والهناء

لهفي على اروبا الغارقة في الدم المعتمدة بالنار !

سيُسأل عن هذه الدماء ووقود هذه النار المستعرة وأبنية لوفان وآثارها الفخيمة ، وكاتدرائيه ريمس نتيجة الفن في القرن العشرين وسيطالب بمائتي الف مجلد ثمرة السنين والاجيال مثيرو هذه الحرب المشؤومة

في ذلك الموقف الرهيب أمام محكمة الضمير على الارض وبين يدي الديان في السماء سيقف رجل منكساً رأسه مغطياً وجهه براحتيه امام رجل آخر هب لنصرة العدل وانتشاله من أعماق هوة الظلم . قوتان ستقف الواحدة ازاء الأخرى وجهاً

لوجه ، وارادتان متضاربتان كانتا مظهرين من مظاهر هذه الكرة الارضية سوف تجازي احداهما لسعيها للشرّ والظلم والاستبداد والشقاء وتُكافأ الاخرى لنزوعها الى الحرية والفرح والابتهاج

اي بني باڤاريا والرين وسيليزيا وسكسونيا بلاد السذاجة وحسن الضيافة بلاد الشعر والسكينة، ما كنا لنعهدكم كالبروسيين المتغطرسين ولا ضواري ينفر منها . فغدا عندما تأتي تصفية الحساب عند ما تبذل المساعي لتحريك عوامل الشفقة والرحمة عليكم، غداً وان غداً لناظره قريب ستقولون كنا . . . وكنا . . . كنا مذعنين لاوامر تنفر منها ونمقتها كنا مسيّرين غير مخيّرين، أضلّنا المضلون عن سواء السبيل كنا آلة في يد عاهل شديد التعطش للدم عبيداً لنظاماته وقوانينه . ساء فألكم يا قوم وساء فألنا فيكم فان حكومة البلاد صورة مكبرة لآداب الامة وارتقائها العقلي تمثل غرائزها وطبائعها فلو كنتم امة تأبى الضلال واقتراف الجريمة اذ ليس في استطاعة احد ان يضل شعباً يدرك حقائق الامور ولا يشكو قلة الذكاء . اي المانيا رفقاً بدماء ابنائك

لا تجودي بها جزافا في سبيل لا يعود عليك بغير الوبال

اي المانيا ! ستصغرين خدك عند سماعك هذا القول ٠ نعم ان منزلة الكلام المقول او المكتوب لحقيرة ازاء طعن الاسنة وانفجار القنابل ولمعة السيوف فقط ان يحدوا بين الجد واللعب بحد السيوف في مثل هذه الظروف فارقبي اذن هذه السيوف !

اي ابناء بريطانيا واوستراليا و كندا حماة الحرية وابطال نجدتها كلما قلت لهفي على اوروبا ذكرت ابنائك الشهداء الذين دفعوا بمامل المحافظة على الحقوق البشرية خوفاً عليها من كف الظلم الوحشية ان يجودوا بنفوسهم على حد الظباة و يقفوا ما وراء عالمنا الفاني امام النور الاعلى ليرفعوا اليه دعوى عبث الانسانية بالانسانية وفظائع البشر في البشر ٠

اي فرنسا ! امام هيكل المتك الجميلة باريس الصامتة اجثو مطاطئ الراس امامك يا باريس متاملا فيما عسى تدفعين به عنك غارات الالمان فيما لو شاء القدر وسمح بهاجمة قصورك الفنية و بيوتك العلمية ومحدثاتك الطبية ونفوس عظائك

الجالسين وراء مقاعدهم يسطرون عجائب العلم وغرائب الاكتشاف المقبل وفي الاخير ظباء خدورك التي لو وجدت في القرون الخالية لقالوا عنها ما هذه بشراً ان هذه الا ملائكة كريمة . قولي بالله ماذا يحل بك لو سمح القضاء للتيار الالماني بمهاجمتك. وانت آمنة بفظائع هيرودوس وقسوة نيرون وتوحش تيمورلنك ؟ انك ستصدينهم بصمتك العجيب وعظمتك المهيبة و بصوتك العذب وجمالك الفتان ستولدين الرعب في قلوبهم ، وتجمدين الدم في عروقهم . ليس عجباً ما اقول فان بعض الحيوانات المفترسة تطرب عندما تسمع الانغام الشجية ، والاصوات العذبة . أنت صامتة أعظم منك متكلمة، فاسلمي يا باريس، انك فخر المتأخرين على المتقدمين، انك زهرة الوجود وربيع الحياة ، انك في معزل عن كل خطر!

أيتها الارض في صدرك نفوس كبار ضاق عنها رحب ظهرك، في ذلك الفضاء الواسع تحلق هاتيك الأرواح ، ومن عالم الأبدية تطل على الانسانية المظلومة على الارض !

سلام على هاتيك الأرواح البريئة الزاهقة في ميداني الشرق والغرب في هذه الحرب ، سلام أردده كلما تذكرت قوة القوي وطمع الرؤساء ، وقسوة ائمة الشعوب !

# السلام في افواه المدافع

خرجت الفتاة من خدرها لا لتمتع منظرها بمحاسن الطبيعة . ولا لتخلب بجمالها عقول الناظرين . انها خرجت تنشد الناس حبيبها وتندب سلاماً بات في افواه المدافع

في الساعة الثانية بعد منتصف الليل والطبيعة هادئة ، والنسيم عليل ، علت في الفضاء أصوات موسيقى مؤثرة رددتها جوانب المدينة الأربعة ونقلها الليل البهيم الى القرى المجاورة ، حيث خرجت الفتاة تنشد المارّة حبيبها وتندب سلاماً بات في افواه المدافع . . !

أرخت الفتاة اذنها ، وتأملت اللحن فاذا هو أنشودة الحرب فقالت : ويل للبشر من يوم الحساب ، انهم اتخذوا لغة السماء ومناغاة الملائكة واسطة للتشجيع على ازهاق الأرواح وارتكاب الجرائم ! ما أخزى هؤلاء النافخين في تلك الأبواق والمزامير

بمشاركتي في انشادي حبيبي وندبي السلام الذي بات تحت مشتبكات السيوف وفي افواه المدافع ؟

وكان القمر اذ ذاك قد القى على وجهها الجميل وصدرها العاري ، أشعته الفضية كأنه يحاول ان يكتشف مكوناتها ، فاذا هو يضيء في جفنيها دمعتين حائرتين ، وفي صدرها صورة الأمل الضائع

الدمعتان الحائرتان على حبيبها ! والامل الضائع هو السلم !

ثم ما عتمت ان وضعت على شكل صليب يديها على نهديها الذاوبين كأنها أبت على القمر ان يطلع على ما هو محجوب في صدرها عن الناس وجعلت تقول :

هلمي يا بنات الارض نبكي وننوح فقد أتت الساعة التي سوف يغرق فيها العالم في الدم و يعتمد في النار .. كل جندي من هذه الملايين من الشبان الاقوياء الماشين الى ساحات الوغى يفتك بعضها بالبعض الآخر يثير ما بين جنبي كل منا ، وان اختلفت مشاربنا ، لواعج نيران واحدة .. لكل منا حبيب نائي

عنها تابية لارادة ملكه عَلَى الارض فكيف لا نبكي وننوح عَلَى احبتنا يا بنات الارض ؟ · سوف تمزق احشاء حبيبي شظايا القذائف وتجني عليه قوة القوي وهو لا يعرف للحرب سبباً سوى انه يسير للقتل باشارة قائده واميره · · · سوف اذا اخطأته سهم المنايا يعود الي وحوالي راسه عصائب بيضاء كتبت عليها شرور الانسانية وتغلب الحرب عَلَى الحب بأحرف قرمزية هذه الجملة : السلام في افواه المدافع ! · ·

لا مرحبا بتلك الساعة التي ارى فيها حبيبي مضرجاً بدمه الزكي لا أهلاً بدقيقة يتمثل لي فيها حبيبي خيالاً آتياً من مرتع المنايا · إرحم ايها الموت الكامن في بطن البندقيات والمدافع بنات الارض اللائي يبكين أحبتهن احترم ايها الموت الممتزج مع بريق الظباة والاسنة رسم الحب الذي كثيراً ما كنت تراه فتنصرف · · إجثي ايتها الحرب امام اله السلم الذي أسأت اليه قروناً واعواماً · أهرب ايها الانحطاط من امام وجه القرن العشرين لانك شوهت مصوناته ورجمت

بتمدنه القهقرى !.

هلمي ايتها الأرامل الباكيات أزواجكن والثكالى النادبات اولادكن واليتيمات النائحات علَى آبائكن ، هلمي يا بنات الارض نبكي السلام الذي بات في افواه المدافع !

وفيما هي كذلك وقد كاد القمر يفضح الظلام اذا بشبح قد وقف امامها وبصوت منقطع خاطبها قائلاً : ويل للملوك الاوض من بنات الارض ! كل دمعة يذرفنها علَى احبتهنّ تتحول الى جمرة محرقة تسقط علَى رؤوسهم . الملوك الذين يدعون ان سلطتهم من الله مسؤولون عن ضحايا الحروب التي في وسعهم تلافيها فيما لو اتبعوا وصيته القائلة : «لا تقاوموا الشرّ بالشر»

أنت ايتها الصبية ، الباكية حبيبها النادبة سلاماً بات في فوهة المدفع ، إفرحي وتهللي لان حبيبك قد خرج من حكم هؤلاء الملوك واصبح في السماء حيث الحب والسلام ...

وما كاد الشبح يلفظ الكلمة الاخيرة حتى صرخت الفتاة

قائلة : هذا هو صوت حبيبي !

وو ثبت من مكانها لتضم الشبح الى صدرها ، غير انه بأسرع من لمح البصر اختفى من امامها ، فشهقت للحال شهقة لفظت معها نفسها الاخير …

وهناك في عالم الابدية التقى الحبيبان حيث السلام والحب سائدان …

# وقفة على قبر

« اذا أخفقت آمالنا في هذه الحياة فامامنا »
« مجال الابدية اللانهاية لها حيث نخلع اثوابنا »
« الفانية ونحلق في فضائها الرحيب ، فنشاهد »
« من علونا الشاهق مايجري على هذه الارض »
« من الشرور الفظيعة »

( دورثي اوصبرن )

لربيع الحياة خمرة يترنح بها الشاب ثملاً حتى يكاد لا يظن ان سيلي ربيع حياته خريف يذبل اوراق امانيه ، وشتاء تقتلع اعاصيره جرثومة كيانه من ارض الحياة ،

ما اكثر ما تطوي الايام ربيع الحياة عَلَى غير الاعمال العظيمة ، وتكفنه السنون باوراق صفراء تذوى وتذبل مع حلول خريف الشيخوخة

لفتة الى الوراء تجد مرآة الاجيال تعكس عليك تنازع الاولين البقاء وتسابقهم في ميدان الحياة على ظهر الارض ، اطفالا وشبانا وشيوخا ، الى الاعمال العظيمة والسافلة ، ثم اطرق مليا تجد هؤلاء كلهم ضيوفا على هذه الارض وقد اعد لكل منهم بطنها مقصورة من مقصوراتها السفلية تُدعى « قبراً »

الحاضر يحذو حذو الماضي ، والكل يغدون ويروحون حول تلك المقصورة نافضين عنهم غبار جوهرة من شانها التحليق في سماء اللانهاية تدعى « نفساً » .

خرجت صبيحة احد الايام من بيتي وقد بلغت مني الافكار مبلغاً كدت ارى الحياة معها أظلم من الدجى ، واضيق من سم الخياط وما كدت اتجاوز بيوت الحي واصل الى الطريق العمومية حتى سمعت صوتاً رخيماً تصاعدت على اثره زفرات حارة تحرق القلب ، فتأملت مخرج الصوت ، فاذا هو « المقبرة »

الى المقبرة مشيت بقدم مضطربة ، وقلب خفاق ، وببطء دخلتها كي لا تزعج اقدامي رفات الراقدين تحت اطباق الثرى

فاذا بي ارى امرأة تعانق قبرًا جديدًا مبللة ثراه بدموع عينيها وتقي بشعرها المحلول صدرًا عاريًا يضن به ان يتحول الى تراب!

واني لكذلك وقد شعرت بهيبة الموقف تمشت في ضلوعي حتى جلست مستترًا وراء قبر من الرخام، خشية ان اعكر على هذه المنكوبة بعزيزها لذة بكائها، وجمال حزنها

وما كدت اتريث قليلاً لا ستجمع رويتي واناتي وارد الي ما شتته منظر هذه الثاكل من رشدي حتى رأيتها تقبل القبر ثلاثًا ماسحة بشعرها المحلول دموعًا تساقطت تباعًا من سماء عينيها فوق حجر وضعته يد الدافن عند رأس القبر وقد وقفت على رجليها المرتجفتين وخاطبت القبر بصوت خافت كدت انتزعه منها انتزاعًا:

ايها القبر! في ذمتك هذا الضيف وتحت لوائك جسم حبيبي انت يا راحة المتعبين في نظر مجاهدي الارض، لا تثقل على جسم ولدي، بل كن الراحة الحقيقية له ... ايها القبر، لقد انسللت من جانب فراش اولادي الصغار عند منتصف الليل تحت جنح هذا الظلام لاسامرك في خلوتك، واسليك في وحدتك، كن

لابني راحة اكون لك سميرة في الحياة وفي الممات : في الحياة تراني بجانبك كلما انتصف الليل ، وفي الممات تراني نزيلة جوفك حيث اصادف راحتي الحقيقية ، سيما بجمعك تحت ترابك بين عظامي وعظام حبيبي ولدي ! . . وانتظرت ريثما انقلبت المرأة الى بيتها ساترة رأسها بملاءة من صوف وضاغطة باطرافه على وجه لم يخف بؤسه جمالاً وإباء لا تزال خيوطهما ظاهرة عليه ، وقد دق جرس الساعة البلدية « الثامنة » ، وازمعت الذهاب الى مقر شغلي ، حتى رأيتني « مدفوعاً كالنمر الجريح بعامل غير منظور الى القبر لأقول بدوري كلمتي له . .

على القبر وقفت وقفة متعبد طأطأ رأسه اماقدس الاقداس والى ترابه صوبت نظراً يحاول ان يخترق مسام طينه المبلل بندى الصباح ودموع تلك الثاكل . . تراءت لي جثة هامدة ممدودة في تلك المقصورة السفلية فانحنيت عليها انحنائي تحت اثقال العيش واعباء الحياة ، ومددت اليها يداً كانها وتر المثاني تحت أنمل الموقع علي اعرف النفس التي كانت تسكن هذه الجثة الهامدة .

مددت يدي وبحثت عن علامة فارقة أتمكن بها من معرفة هذا البشري النائم نومهُ الأبدي ! هل كان احد رجال الشريعة ، ام رب وظيفة عالية ، ام من قادة الافكار الجديدة ، ام صعلوكاً بذاً ام جندياً يقتل ويُقتل ؟ . وبعد تحديق ملي لم اعرف من هذا الشخص سوى انه جثة بشري لا غير لان صفرة الموت القاسية التي تكسو وجوه البشريين الذين يحلون ضيوفاً على بطن الارض ، تخفي جميع الفوارق التي امتازوا بها على ظهرها . امام عرش الموت يستوي الجميع : الملك والامير ، الغني والفقير ، العالم والعامل ، والدميم والقسيم

ايهاذا النائم ! ما أشقاك بالامس يوم كنت نغمة شجية بين شفتي الحياة وما أشقاك اليوم وقد اصبحت سراً صامتاً في صدر الارض ! انت في الحالتين شقي ! تمثل الشقاء على الارض عاملا مشتغلاً ! وجثة ممدودة في بطن الارض ! انا ارثيك حياً وميتاً ، منتصباً وممدوداً ، في الحياة تمثل تنازع البقاء المبني على حب الاستئثار ، والعبث بحقوق الضعفاء ، وجمع الاموال واتباع الاميال

واشعال نيران الثورات والحروب . وفي الممات تمثل البطل والضياع خارجاً من معمعة الحياة بصفقة المغبون، وذل الوحدة والضعف مرتداً امام اعباء العيش ارتداد الامواج عندما يلطم تيارها جلمود الصخر ! .

ولكن نفسك ! . روحك ! . أتدري اين هي ؟ اوتجيب وقد حواك القبر عَلى سؤال لم تفهمه وانت في قيد الحياة ؟ انها ولا شك عادت الى الجوهر العام لأنها جوهر عام، كما عاد جسدك الذي هو جوهر خاص الى الارض .

أجبني بحق وجودك ، اجبني عن نتيجة ما طوت عليه الايام حياتك سيما ربيعها ، لاذهب الى العالم وارد الظالم باسمك عن ظلمه، والفاسق عن فسقه، ورجل الدين عن استخفافه بالدين . . وما كدت الفظ الجملة الاخيرة حتى قرأت عَلى صفيحة القبر كتابة خطتها يدٌ خفية باحرف من نور هذا مؤداها : «لو جاءهم موسى والأنبياء لا يصدقون» وما هي الا لحظة حتى اختفت هذه الاحرف، وما عدت ارى لها اثراً . . .

ثم تحولت مخاطباً القبر قائلاً . ايها القبر ارايتك وانت تسمع حديث تلك الام وهي تناجي فلذة كبدها . جامداً خامداً كأنك لا تسمع ولا ترى .. هلاً لبيت طلبها وكنت الراحة الحقيقية لثمرة احشائها ونزيل احشائك .. ؟ ام انك مضيف الى رزوحه السابق تحت اثقال العيش واعباء الحياة ، الرزوح تحت ثقل التراب في الممات ؟ . ايها القبر لا شك انك راحة من قضى عمره في الصالحات الطيبات ، وتعب لمن آثر اثارة الحروب وتعكير سلام العالم وانتهاك كل محرم ، انك تعزية من طوى خريف شيخوخته واوراق ربيعه على انقاذ الانسانية من اعداء الانسانية المشتغلين لاجل سلام العالم النهائي ولاجل تحرير جميع الشعوب المدافعين عن المبادئ المحررة البشر والمقومة عدل الحكومات . انك هناء لابناء العناء والشقاء .. انك سلوى من جارت عليهن شرائع الارض القاسية انك راحة من دفعتهن قسوة قلب البشرية الى الاكل باثديتهن فافرزتهن تلك البشرية من جامعتها الضالة .. !

انك نار وكبريت يصبان على رؤوس بعض بني الانسان

دعاة هذه الحروب ومثيري معارك التمدن الحديث .

امام هيبتك ايها القبر ، فليخضد ذلك المجبول من ترابك من همجيته وخيلائه ، وليتخذك درساً من نفخ في معطسه شيطان الكيد والعداوة ورفع منه رأساً فارغاً بدت انفاضه عَلَى اخوته في الانسانية ابناء بجدته وطينته !

ايها القبر ! ايتها الهاوية الا قرار لها ، يا ابدية اللانهاية الفاغرة فاها لابتلاع تذكارات الانسان العذبة، واحلامه اللذيذة وابتسامات ثغور الحزانى ، وشقاء القلب الحزين — الحزين بسبب الحب — بسبب الفقر — بسبب الظلم ! ان في وجودك مؤاساة لذلك الحزين ، وفي عدمك ابتسامات شماتة بالقلب الكسير . .

انك بلسم شافٍ لجروح داميات القلوب التي لا تقبل الاندمال، ما اشد وقعك في نفس متأملك ايها القبر !

ان في نفوس البشر نحوك اماني غرام سوف تفيض بها قلوبهم وتدفع كلا منهم الى الحج الى مدينتك السفلية المقدسة . بنظرة واحدة تولد في انفس البعض قوة كالقوة التي يستمدها

البوذي بوقوفه امام صنمه المقدس — تفتح لهم وراء مرسحنا الثاني ابواب فردوس لا يسمع فيه الا حفيف الاجنحة وهمس الملائكة وخلود الحب — ابواب فردوس كان البعض الاكبر قد اغمض عينيه عنها ليتمتع باحلام زائلة . . .

***

اي نفس هذا النائم . الخالعة ثوب الهيولى ، المحلقة في الفضاء المتنقلة بين الكواكب كما تتنقل الفراشة بين الحقول ، هل اتاك سلام تلك الام التي وقفت الساعة هذا الموقف ؟ سلام حملته اليك على متن نسيم اليقظة وملائكة الحلم . او سمعت خفوق فؤادها الذي نطقت به كل نبضة من نبضاته بما يكنه لك من الحب الخالد ؟ . هل لك من كلمة تعزي بها قلب هذه الام وامثالها الامهات اللائي اضعنَ امالهنّ في هذه الحياة الدنيا بفقدهنّ فلذات اكبادهنّ الشبان .

***

وما هي الا لحظة حتى سمع في الجوّ صوت رخيم سرى

مع نسيم الصباح وحفيف الاشجار حاملاً الى اذني هذه الانشودة الملائكية وهي :

إذا اخفقت امالنا في هذه الحياة فامامنا مجال الابدية اللانهاية لها حيث نخلع اثوابنا الفانية ونحلق في فضائها الرحيب فنشاهد من علونا الشاهق ما يجري على هذه الارض من الشرور والفظائع ..

فلم اشك حينئذٍ ان هذا الصوت هو روح تلك الجثة الممدودة امامي فهرولت للحال الى تلك الام الحزينة لأبلغها « انشودة » روح ولدها ، وامتطيت متن القلم جائباً به العالم باسم هذه « الروح » المتنقلة بين الكواكب لأردّ « الظالم عن ظلمه » و « الفاسق عن فسقه » و « ورجل الدين عن استخفافه بالدين » ! .

# العالم مريض

لكل كاتب مزية يمتاز بها ونزعة يرمي اليها ، ومبدأ يذود عنه فمنهم من حمل لواء القلم ليقفه على منفعة بني جنسه والانسانية ومنهم من وقفت المصالح المادية والمآرب الذاتية حاجزاً بينه وبين الحقائق فيصور الشر خيراً والخير شراً ، ويغش الساذج ولا يغش الحكيم

كتابنا اليوم اكثر من ان يحصى عددهم ، منهم من النوع الاول كثيرون ومن النوع الثاني اكثر والشعوب اليوم بفضل المصائب والتجارب نفضت عنها غبار السذاجة ولم تعد تلك الشعوب التي تقوم بكلمة وتقعد بكلمة الا فئات قليلة لم تنفعها العبر ولم تنل من جهلها الحوادث ٠

مثل هذه الفئات سيصلحها الزمان الكفيل بنسخ الفاسد وتقويم المعوج عملاً بسنة بقاء الافضل ، واتلك الشعوب اكتب

الان طمعاً بالطوبى التي وجهها الحكيم «للسان المتكلم في اذان تسمع»
حدا بي الى هذه المقدمة التي ربما اضجرت بها قارئي حديث دار بين فتى وفتاة · وكيفية ذلك اني صعدت يوماً من ايام ايار الجميلة الى جبل الزيتون بالقدس لاروح النفس باستنشاق نسيمه العليل وهوائه البليل وفيما انا امتع نظري بجمال الطبيعة وما حاكته لها يد الربيع من الحلل الفاخرة الموشاة بما يزري بالزبرجد والياقوت اذا بي المح عن بعد فتى وفتاة كانا جالسين تحت ظل شجرة من الزيتون

الفتى في نحو الخامسة والعشرين من عمره يشف منظره عن عقل سليم في جسم سليم والفتاة ناهد خلع عليها الحسن والجمال رداء شرقياً وطبيعياً دونه حسن الباريسيات وجمال الالاهة فينيس

الفتى زعيم من زعماء الحركة الوطنية في فلسطين والفتاة من النابهات اللائي ينظرن الى المستقبل نظرة الامل بالاصلاح المتوقف على اصلاح حالة المرأة في الشرق

احب شيء الى الانسان ما منع ، هذا ضعف في طبيعة الادميين الا الذين تغلبت ارادتهم على اميالهم . حاولت ان لا احقق في هذا الضعف فانتحيت ناحية من ذلك الجبل تاركاً الفتى والفتاة وشأنهما . الا ان مجرى الهواء وقتئذ كان كبعض الانسان الذين شأنهم نقل الحديث فسخّر لخدمتي واصبح برقاً لا سلكياً بيني و بينهما يحمل على اجنحته الى اذني الحديث الاتي

الفتى — العالم مريض يا حبيبتي، يحتاج الى طبيب جراح يبقر ببضعه قرحة في جسمه اذا اهملت عليه اهلكته

الفتاة — ولكن الطبيب مريض هو ايضاً وهل يشفي المريض المريض ؟

الفتى متأثراً — كنا نتوقع شفاء هذا المريض عندما تضع الحرب اوزارها و يرد السيف الى غمده، ولكن سرعان ما خابت الامال ، لان هذه العملية الجراحية ما كانت الا لتزيد المرض استعصاء ،والقرحة تسمماً ، فاندمل الجرح على فساد وصرنا نرى الداء يسري الى الاعضاء السليمة من ذلك الجسم المتضعضع .

تأملي جيداً يا حبيبتي في هذه الاعضاء : فرنسا انكلترا ايطاليا روسيا المانيا تركيا سربيا الجبل الاسود اليونان مصر سوريا فلسطين الخ .. كلها اعضاء هذا الجسم البشري المريض ، كلها تتألم وتشكو ، تصيح تبكي وتنوح ، تطلب الشفاء واذا لم يبادر الجراح ببضعه لاغاثتها هدّ المرض اركان هذا الجسم واوقعه في داء مزمن اطال عذابه وضاعف اوصابه . لتشهر حرباً ثانية اذا كان اليها سبيل وليسرع الجراح ببضعه الحاد وليعجل عمليته الجراحية ، والا فليسرع ملاك الهلاك لقبض الارواح وهدم هذا الجسم المتالم . ليأتِ اليوم الاخير ولتدنُ الدينونة الرهيبة وليخرب هذا العالم فقد سئم المريض الحياة وكرهت الحياة المريض .. لقد قلت ان الطبيب مريض هو ايضاً واي طبيب تعنين ؟

الفتاة — الدكتور ولسن رئيس الولايات المتحدة

الفتى — الدكتور ولسن مسيح ارضي ثاني قذفه العالم ليعيد تمثيل دور المسيح السماوي في العالم القديم . ولكن مملكة ولسن ليس

كما قال السيد المسيح عن مملكته انها « ليست من هذا العالم »
ولذلك فالدكتور واسن سيقابل يهوده المناقضين مباديه وتعاليمه
ليس « بيا رب يا رب اغفر لهم ». انه يضن بنفسه كانسان من
ان يسمح لهم بالسخر منه وتعذيبه وصلبه وطعنه وهو ساكت
صامت كما فعل الاله والانسان معاً وهو على الصليب وقتئذٍ .
انه سيقابلهم مقابلة الانسان القادر للانسان القادر. انه ليس باله
ليصفح عنهم . لقد صبر ولسن وسمح ليهوده بالضحك من
ذقنه ولكنه لا يسمح لهم بصلبه. نعم الطبيب مريض قلت ولكن
بمرض السكوت لانه لم يهتد بعد الى الدواء . سيجده فيما بعد
وسيتكلم. سيتكلم الدكتور ويصرخ في يهوده رافعاً في يده راية
مباديه وتعاليمه ، وباليد الاخرى السيف والمدفع . ذلك هو
مبضع الجراح الذي عنيته في كلامي السابق يا حبيبتي . الدواء
يجب ان يكون من عين الداء والقصاص من جنس العمل ،
وهل يفل الحديد الا الحديد !..

الفتاة — حبيبي ما هذا ؟ هل نسيت الحرب الاولى حتى

تريد أن تحول هذا العالم مرة ثانية الى بحر من النار والدم ؟ هل نسي العالم ما فعله السيف والمدفع والجوع والمرض خلال السنين الخمسة الماضية ؟ هل لم يكتفي الدكتور ولسن بمنظر الحداد الذي يغطي ثلثي نساء العالم ؟ هل يريد ان يغطي الثلث الباقي بالحداد عينه ايضاً ؟ يا ولسن ! يا ولسن ! يا مسيح العالم الجديد . مت كما مات المسيح من اجل هذا العالم . فقد سئمنا الحروب وارتوت الارض من الدم المطلول ، وشبعت وحوش الفلا من جثث القتلى وبتنا نتوق الى من السلام كما يتوق الغريب الى الاياب والفطيم الى الرضاع .

الفتى — هذه توسلات امرأة وتوسلات النساء لا تنقع غلة ولا تشفي علة ، وما سمعنا قط ان الدموع ساست يوماً دولة وقادت شعباً وقومت معوجاً . قلت لك ان العالم مريض ، وبجسمه قرحة لا يعالجها الا مبضع جراح ماهر جراح يشخص الداء ويعطي الدواء . اتركي العالم وتعالي الى البقعة التي اسكنها واياك . هل تغيرت فلسطين عما كانت عليه قبلاً ؟ هل شفت

الحرب قرحة الجهل المخيم عليها ؟ هل اعد شعبها عدته ليبرهن للعالم انه ليس ذلك الشعب الذي يريد ان يتقدم وينجح ويستقل بالتغني بمجد الاجداد وبالاقوال لا بالافعال ؟ ان مصير الشعوب يتوقف علَى ارادتها فلمَ اليأس ؟ اين فلاحه النشيط وزرّاعه المتنور ؟ اين صناعته النادرة وتجارته الوطنية ؟ اين صحافيه المخلص وشاعره النزيه ؟ اين زعيمه الحر ووطنيه الفدائي ؟ اين مدارسه الوطنية وجمعياته الغير متزعزعة ؟ اين ماله المجموع لخدمة مصالح الامة ؟ اين مصارفه ومعامله ؟ اين غنيه من غني الفرنجة وغيرته على القومية والوطنية ؟ ليس ابن البلاد فينا وطنياً متحمساً الا عندما يقوم فيه خطيب متحمس يضرب علَى وتيرة عواطفه وبعدها لا وطنية ولا حماس ! هل اكتسب معظم مهاجرينا من هجرتهم غير المال ؟ ايحبون بلادهم حقيقة وهم يعودون اليها افراداً ويخرجون منها زرافات ؟ اين جمع كلمة هذا الشعب ؟ احزاب في باريس واحزاب في الشام واحزاب في مصر واحزاب في المهجر . ارايت يا حبيبتي ان الاقوال

دون الافعال كدموع النساء لا تسوس الممالك ولا تدبر الشعوب

انا لا انكر ان فينا رجالاً وان في بلادنا نهضة مباركة الآن ، ولكننا في حاجة الى اصلاح انفسنا اصلاحاً فعلياً حسياً . الى اصلاح عام يتناول جميع طبقات هذا الشعب الموظف والمتظف : الكاتب والشاعر : الشيخ والقسيس ، المعلم والتلميذ الصانع والتاجر . الفلاح والعامل . الفقير والغني . اصلاحاً يتناول نفوسنا واجسادنا . اخلاقنا وعقولنا . ادابنا وعوائدنا افكارنا واقوالنا . مشاريعنا واعمالنا واعتقاداتنا . وعندها يقف المستعمر القوي تجاه شعب قوي حائراً جامداً لا يدري كيف يطبق عليه لفظة حماية او وصاية . و يقف الغريب وقفة الضعيف الذي يرى من ذكاء الاهلين وقوتهم الادبية والمادية ما يقتل اطماعه ويخيب امانيه ويقهقره الى الوراء بصفقة المغبون . العالم مريض سقيم وامراضه الطمع والاستبداد والعبث بحرية الشعوب . تقابلها امراض اخرى هي الضعف والجهل والفقر . افات الاخاء العام . وعندما ترتقي الانسانية وتشفى من امراضها

عندما تشفى قرحة هذا المجتمع المندملة على فساد ، يقف العالم عند حده ويكف عن طمعه وظلمه : ولكن انبقى نحن مرضى اجيالاً حتى يتم شفاء هذا العالم : اذا لم نسرع لمعالجة انفسنا فنظل عرضة للظلم للاستبداد لعبث الاخرين بحريتنا ، فليشهر الجراح مبضعه الحاد ، وليسرع بجرب اعظم ، وويل اكبر يكون منه شفاء هذه القرحة المندملة على الغش والفساد

ان فلسطين هي احد اعضاء هذا العالم المريض وهذه امراضها فماذا عسى تكون امراض باقي الاعضاء يا ترى؟ روسيا ، انكلترا ، المانيا ، تركيا ، ايطاليا الخ هل حولت الحرب هذه الدول عما كانت عليه قبل الحرب من السياسة ؟ هل شفيت العلل المصابة بها منذ اجيال ؟ هل ابرمت صلحاً نهائياً شريفاً يكون من ورائه سلامة العالم ؟ لم يتم شيء من ذلك بعد فكيف يقال ان اعضاء هذا الجسم سليمة صحيحة ، وان مؤتمراً يعقده قوم هذه حالتهم لا يمكن ان يأت باحكام سديدة : ليأت الجراح الماهر وليشهر مبضعه وليبقر

به بطن هذه القرحة ثم ليعقد المؤتمر ، ليصدر احكامه وقرارته ولا شك انها ستكون سلمية سديدة ، ولتشكل بعدئذ جمعية الامم لخير الامم

الفتاة — لم تذكر في تعدادك امراض بلادنا المرض الا كبر والمزمن في جسم امتنا الا وهو جهل المرأة المتوقف عليه صلاح نسلنا وسلامته العقلية والجسمية : المرأة التي لم تبرز حتى الان الى حلبة الاعمال العقلية : ولم ترَ منكم انتم معاشر الرجال ما يعرفها بنفسها ويفهمها انها نصفكم وانها هي لا غيرها التي عليها تؤسس البيوت وبها لا بسواها تشفى الامة من امراضها ومن عمل يديها تقام الممالك وتعزز الدول

الفتى — نعم يا حبيبتي نعم بالصواب نطقت . المرأة هي الكل في الكل ، هي ملاك هذا المجتمع وشيطانه ، هي صلاحه وفساده ، هي القرينة التي نستدل بها علَى رقي الامم وانحطاطها ان المرأة في فلسطين جاهلة غبية بسيطة . امة يقودها الرجل كيفما شاء ويرضيها بما شاء امة لا ارادة لها ولا رأي ولا فكر

كانها متاع الرجل يتصرف به ما شاء ومتى شاء والى شاء ·
اذا لم يحفظ مقام المرأة في هذا الشرق ونرفها بمنزلتها الادبية
السامية · اذا لم نخفّ الى تهذيبها وتعليمها تأصلت أمراضنا
واورثناها نسلنا وعزّ عَلَى هذه الامة الشفاء وبقيت هدفاً
لامراض ابتليت بها امم قوية من شأنها الظلم والطمع والعبث
بحقوق الشعوب وحرية الاقوام تأتينا بشكل عقاقير طبختها
ادمغة الساسة ، ارباب المصالح وخدمة الشركات التجارية
ورؤوس الاموال ، بحجة التداوي بها باسم الوصاية والحماية
ومبادي ارشاد الشعوب وتدريبهم عَلَى الحكم الذاتي الخ·· وهل
يشفي المريضُ المريضَ ويعالج السقيمُ السقيمَ · اذا لم نخفّ الى
اصلاح شأن المرأة في هذا البلد ؟ فليشهر الجراح مبضعه وليبدأ
بعمليته الجراحية !

الفتاة ( تقاطعه ) — ومتى يكون ذلك يا ترى ؟ ويل
العالم من هذا الجراح وويل العالم من نفسه !

الفتى ( يقاطعها ) — سيتم ذلك عن قريب وبدلاً من

ان تنادي بالويل والثبور بشرى بالطوبى والسعادة التي ستحصل لهذا العالم لان مقابلة الخطر خير من البقاء تحت الخطر : نعم سيتم ذلك وهاك الطلائع :

ثم اخرج من جيبه جريدة وقرات الفتاة فيها ما يأتي :

ابرق الرئيس ولسن لحكومة لندن وباريس ان كل ما تقرر في شأن بلاد العدو المحتلة ولم يكن بموافقته ، لا تعتبره دولة اميركا . وقال :

ان اعلان السوريين استقلال بلادهم ومناداتهم بالامير فيصل ملكاً على سوريا مطابق لرغائب الاهلين تمام المطابقة وموافق لمبادئنا الاساسية التي رافعنا راية السيف والمدفع تأميناً لها كل الموافقة لاننا لم نخض هذه الحرب الضروس الا لأجل استخلاص الشعوب الضعيفة الراضخة للحكم الجائر والجائرين والسلطة الاستبدادية من ذل الاستبداد لتعيش عيش الاحياء فتتنسم ريح الاستقلال وتذوق طعم الحرية اذ

هما حياة البشر في كل زمان ومكان »

وبعد ان انتهت الفتاة من القراءة سادت سكينة عميقة مهيبة اشبه شيء بسكينة المقابر ثم قالت بصوت خافت كدت انتزعه منها انتزاعاً

عَلَى هذا الجبل منذ ١٨٨٧ سنة صعد السيد المسيح الى السماء ليأخذ مكانه ويجلس عن يمين العرش الاعلَى . وعَلَى هذا الجبل صعدنا اليوم لنعرف موقفنا ونقف عَلَى حقيقة حالنا لتبلغها امتنا لتتخذ عدتها وتعد اهبتها لتصعد هي ايضاً وتجلس عن يمين الحقائق التي تصعد بالشعوب الى اعلى مراتب الرقي والسعادة

وهنا تحول حديث الفتيين الى موضوع اخر خاص ، وتحول مجرى الريح ولم يعد يحمل اليَّ حساً كانه عاقل ابى عَلَى نفسه ان يكون كبعض بني البشر الذين دأبهم نقل الحديث الخاص فنهضت من مكاني ولم اشأ ان تكون الريح اسبق مني الى معرفة الواجب ومشيت الى بيتي حيث جلست الى مكتبي لانقل الى « الوطن » العزيز حديث فتاه وفتاته

# القبلة والتقبيل

القبلة في اللغة اللثمة . وفي الاصطلاح وحي العواطف الحبية عَلَى الشفاه . قال شاعر الخيال خليل بك مطران:

يا من نأَت والروح من خلفها هائمةٌ من نزوات الالم
لا تمنعي الارواح من قبلةٍ لعلَّ روحي بعض تلك النسم

واللثم بمعنى قبل الاّ انها تطلق عَلَى لثم الفم في الاغلب

وفي هذا المعنى يقولون باسه يبوسه بوساً وهو معرَّب بوس بالفارسية بمعنى التقبيل

فالتقبيل واللثم والبوس من المترادفات التي تختلف لفظاً وتتفق معنىً

وقسم العرب القبلة فجاء التقسيم هكذا . قبلة الامام في اليد . قبلة الاب في الرأس . قبلة الاخ في الخد . قبلة الاخت في الصدر . قبلة الزوجة في الفم

قلنا ان القبلة في الاصطلاح وحي العواطف الحبية على الشفاه . وهي ايضاً طوابع لا تزول آثارها تطبعها الشفاه على الشيء المحبوب حياً كان او جماداً . وبعبارة اخرى هي شعلة تضرمها العواطف الحقيقية في القلوب بملامسة الشفاه سطح الجسم المحبوب . وهي اشبه شيء بالنور الذي ينبعث من ملامسة الكهرباء والبرق الذي يولده احتكاك غيمة بغيمة

﴿ القبلة المقدسة ﴾ فالقبلة التي تطبعها الام على وجنة ولدها الذي تكوّن من لحمها وتغذّى من لبنها هي قبلة مقدسة تعجز لغات البشر الشعرية والنثرية عن الاتيان بتعبير يحصر معناها ، وبمعنى ينوب عن التعبير عنها

من لم ينظر اباً او اماً يودعان ولدهما برسم القبلات الحارة على وجنتيه وخديه وفمه وجبينه وهما لا يستطيعان انفصالهما عنه كأن شفتيهما قطعة حديد ممغنطة لصقت باخرى مثلها ولا يقف مبهوتاً صامتاً يتأمل باحترام مهابة الموقف وعظمة هذه القبلات ومنزلتها من عواطف الحنوّ والحب الالهيين !

﴿ القبلة الشريفة ﴾ والقبلة التي يتبادلها الزوجان عند خروج الزوج من البيت صباحاً ، وعودته من اشغاله مساءً ، قبلة شريفة ، تعبر عن تعلق كلا الزوجين برفيقه ، بل عربون قيام احدهما على ولاء الاخر في حالتي القرب والبعد . وقد اصطلح على هذه العادة سواد الاوروبيين وقد يتبع الواحد منهم زوجته الى خارج البيت فيتعانقان بصورة ظاهرة وعلى مرأى من الناس وكأنهم ارادوا بذلك ان يؤيدوا القاعدة القائلة . ما تفعله بالسرّ لا يجب ان تستحي به في الجهر . بيد ان هذه العاده لم تزر بيوت الشرق بعد كما ان الشرقيين لم يهتموا بضيافتها واذا وجد من احتفى بها فهم في المدن الكبرى اندر من الكبريت الاحمر

﴿ القبلة الحبية ﴾ اذا احب شخص آخر فاول ما يتبادر الى ذهنه رسم القبلة على وجهه سيان كان عيناً ام رمياً . غير ان تاثيرات هذه القبلة تختلف باختلاف درجات الحب فهي في حالتي التيم والعشق اشد تاثيراً منها في حالتي الميل والمودة

لان جسم المحب يشبه ابان تنيهه وولهه بركاناً تغلي نيران اشواقه وتزدحم في مراجل جوفه وعندما تخرج هذه القبلة من الشفاه تخرج معها جزء كبير من نيران تلك الاشواق المزدحمة ، معيدة الى قلبه تلك اللذة الروحية المعزية التي لا تعتم ان تكون دواء لكلف نفسه وتعزية لحزنه وانكساره وقد حدت تأثيرات هذه القبلة الطغرائي الى الجزم انها تجلب البرء والعافية لصريع السيوف والرماح فقال ·

يشفى لديغ العوالي في بيوتهم     برشفة من غدير الخمر والعسل

وقد عنى بالخمر والعسل ريق حبيبته ··

وما حمل عنترة العبسي على تقبيل السيوف واقتحامها الا تلك اللذة التي كان يشعر بها عندما كان يرسم القبلات على ثغر عبلة حبيبته وقد قال في معلقته :

وودت تقبيل السيوف لانها     برقت كبارق ثغرك المتبسم

وما الجأ الشاعر العصري نجيب افندي زلزل الى نظم هذين البيتين ؛ وهما

وما شربنا ( الدخان عيب وانما قصدنا به معنى قفوا وتأملوا ادرناه فيما بيننا فلعلنــا الى ثغر من نهوى به نتوصل الا شعوره بغليان نيران الشوق المزدحمة في فؤاده والتي لما تعذر عليه اطفاؤها برسم قبلة تخرج من بين شفتيه علَى خد من يهوى اتخذ شرب الدخان وسيلة الى ذلك تعزية لقلبه وعلالة لنفسه

※ القبلة المجيدة ※ والقبلة التي يرسمها الاب على وجه ولده عند اتيانه بعمل مجيد — والقائد على وجه الجندي الذي يقتحم غمرات الموت ويعود منقذاً راية البلاد من يد العدو — هي قبلة مجد وفخار يجب على كل منا ان يتفانى في سبيل احرازها

وامثال هذه القبلة في التاريخ كثيرة · منها معانقة السلطان عبد المجيد لعثمان باشا الغازي بطل بلفنا حين اهداه سيفاً مرصعاً بالجواهر الكريمة مكافاةً له علَى اعلائه شأن العثمانيين بجهاده الجليل واعماله الحربية العظيمة في حربه مع الروس سنة ١٨٧٨

※ القبلة الخائنة ※ ورب شخص يضمر لشخص آخر

خبّ الحقد والبغض فلا يحييان بعضهما بعضاً عند اجتماعهما الا بالمعانقة ..

ورُبّ رجل ذي عيلة يميل الى زوجة اخرى ربة عيال فكلما انتهزا من رقيبيهما غفلة تراهما يتبادلان القبلات الحارّات واللثمات السمينات

فهذ القبلات التي يتبادلها ذانك الشخصان وهذان الزوجان هي قبلة خائنة ملؤها الغش وصبغتها الرياء

وقد حفظ التاريخ قبلة من هذا النوع وهي قبلة يهوذا الاسخريوطي لسيده وقد جعلها علامة لجنود بيلاطس ليقبضوا عليه . . .

﴿ القبلة المكانيكية ﴾ واكثر شيوعها بين سكان القرى . اصحب مرة جماعة ذاهبة لتهنئة احد القادمين من اميركا بقدومه سالماً فترى طوفان القبلات تنهال عليه من افواه المهنئين ولربما كان بينهم من ليس له معه ادنى علاقة او من لم يشاهده غير هذه المرة . فهذه القبلة المجردة من كل معنى والتي لا يفهم منها

سوى معنى العادة ، تدعى ميكانيكية كآلة الفونغراف التي تنشد الانغام ولا تدري ما تنشد

﴿ بعض القبلات في التاريخ ﴾ كتبت جريدة السائح الغراء فصلاً تحت عنوان « القبلات في التاريخ » فرأيت زيادة للفائدة وتفكهة للمطالع ان انقل عنها هذه القبلات الثلاث التي سببت حروباً وهي :

١) انشأت دوقة من دوقات غوردن فرقة عسكرية دعتها باسم فرقة غوردن في سنة ١٧٦٤ وكانت هذه الفرقة من اشجع وانظم فرق سكوتلاندا والسبب في ذلك راجع الى ان الدوقة المذكورة وهبت كلاً من عساكر هذه الفرقة المشار اليها ذهباً واحداً وقبلة من شفتيها • وقيل ان هذه الفرقة كانت في مقدمة كل فرق بريطانيا المحاربة لان افرادها ذهبوا بعد ما تناولوا قبلة الدوقة حالاً الى الحرب مع الفرنسويين وفي اول موقعة قتل منهم ٣٠٠ نسمة وظلوا محاربين بثبات وشجاعة الى ان امحي اكثرهم وبقي الذين لم يموتوا في الحرب يتذكرون قبلة دوقتهم

غير نادمين عَلَى الثمن الذي دفعوه مقابلها

٢) في سنة ١٧٠٣ كانت قبلة مسروقة سبب حرب طاحنة وذلك ان فرديناند امير بافاريا كان مسافراً في بلاد قريبة من بلاده فزار اثناء وجوده هناك الاسرة المالكة و بينما كان يطوف في حديقة القصر الفسيحة لحظ غادة حسناء مضطجعة تحت ظل شجرة ممتدة الاغصان قريبة منه فسحرت لبه بجمالها وفتنته بقدها حتى انه تقدم منها بعامل الوله وطبع على خدها قبلة حارّة وكانت هذه الغادة اميرة من الاسرة المالكة الا ان الامير البافاري لم يعرف ذلك ولا علم انها كانت خطيبة وان خطيبها كان قريباً منه . فكان بعدئذٍ كلام مرّ وصيحات غضب وأدى الحالَ الى براز جرح فيه الاميران كلاهما جراحاً خطرة ولذلك انقطعت العلائق بين المملكتين وتبعت ذلك حرب هائلة فكان ثمن تلك القبلة باهظاً من الدماء والمال

٣) حدث ان زنجيا خطف قبلة من خادمة المائدة بينما كانت تضع امامه مطلوبه من الالوان في مطعم مدينة صغيرة

تسمى غرانجر بالقرب من سولت ليك ستي في ولاية يوته خنق منه البيض الذين رأوه في المطعم وحالاً هاج الكل وابتدأ القتال فزهقت ارواح ٣٦ ابيض و٨٠ زنجياً . واغرب ما يمكن ان يقال عن هذا الحادث هو ان الزنجي نفسه الذي سبب ذلك القتال لتقبيله الفتاة البيضاء (على عينك يا تاجر) تزوج بها وعندئذٍ غارت منه الزنجيات في المدينة نفسها واتحدن مع الرجال البيض وطاردوا العروسين الزنجي والبيضاء الا انهما نجيا من ايدي الثائرين والثائرات فهربا سرًّا وكادا لو لا قليل يذهبان طعام وحوش البرية . اه

﴿ التقبيل والطب ﴾ أثبت الفحص الطبي ان لا شيء في الدنيا اسرع الى نقل الميكروب — من الفم فالمصاب مثلا بداء السل اذا لثم شخصاً اخر سالماً منه ينقل اليه مرضه بمجرد لثمه ولذلك تنبه اطباء الاجتماع الى الامراض الناتجة عنه فاصبحوا يصيحون بملء افواههم ويحثون الناس على الاقلاع عن هذه العادة الذميمة حتى ان الكثيرين من علية الاوربيين اليوم يعدون التقبيل

مروقاً من المدنية الحقة وخروجاً عن التربية والاخلاق السليمة ·
بيدَ انهم اعتاضوا عن هذه العادة بالمصافحة التي تعد في بعض
الظروف تقبيلاً معنوياً ، مع ان التقبيل من وظائف الشفاه

غير ان المغالين في التمدن من طبقة الاشراف في اوربا
قد اتخذوا تقبيل يد السيدة لاول وهلة من تعرّفه بها ولو على
مرأى من الناس ، دليل الاحترام والاخلاص ، ولا يخفى ما في
ذلك من الغلوّ الذي لا يخلو من النقائص الاجتماعية والصحية··

في محاكم نيويورك عاصمة الولايات المتحدة يقضي القانون
عَلَى صاحب الدعوى قبل تأدية اليمين ان يقبل التوراة · ولما
ادركت الطبقة الراقية الاضرار الناتجة عن تقبيل شيء تمر عليه
افواه سليمة وغير سليمة امتنعت عن تقبيل التوراة ، فلم يلمهم
القانون ولا منفذوه، لان امتناعهم قانوني وعادل

وفي الشرق عادة تقبيل ايدي الائمة والكهان ليست باقل
خطراً عَلَى الاجتماع من تقبل التوراة في محاكم نيويورك

وقد ادرك العرب سكان الخيام بحكم الفطرة والسليقة

هذه الاضرار فتراهم عند التحية يعملون اشارة التقبيل بافواههم دون ان يلصقوها بوجوه بعضهم بعضاً وقد شهدتُ ذلك بام العين في احدى سفراتي عند عرب الحويطات

❊ التقبيل والاطفال ❊ وما هو ادهى وامرّ العادة الاكثر شيوعاً وهي اصطلاح الناس ولا سيما الام والمربية على تقبيل الاطفال . وقد علمت علماً ليس بالظن ان الحول والقبَل في بعض الاشخاص ناتجان عن ذلك لان الام والاقرباء عند وضع شفاههم عَلى خد الطفل لا يسع عين الطفل الا الاقبال عَلى عرض الانف او على المحجر او على الحاجب . او اقبال نظر كل من العينين على صاحبتها فيوءثر تكرار الاقبال الناتج عن تكرار القبلات على عينيه فلا يعتم حتى يتصل بهما الى الحوَل الشنيع الذي يلجيء صاحبه الى روءية الشيء ضعف ما هو بالحقيقة كما يرى الناظر في المرآة المكسورة . وعلى ذكر الحوَل نأتي عَلى الفكاهة الاتية :

حكي عن صبيّ احول من العرب كان يسمع انه احول

ولكن لا يعرف كيفية الحوَل . وبينما كان في ليلة مقمرة بين جماعة جرى ذكر الاحول انه يرى الواحد اثنين . وكان ينظر الى ألقمر فيرى انه قمران ويظن انه كذلك في الحقيقة فقال لا اصدق لانكم تقولون اني احول ولو كان الاحول كذلك لكنت ارى القمرين اربعة

وعليه فمن رام الحصول على القبلات والتمتع بلذاذاتها عليه ان لا ينسى ان السم في الدسم والسلام

واختم هذه الموضوع بتعريف لطيف للقبلة قرأته في كتاب مجموعة الفكاهة لجامعة الأديب اللوذعي الفاضل سعد افندي ميخائيل بمصلحة البوسته والتلغرافات السودانية هذا نصه:

﴿ تعريف القبلة ﴾ القبلة هي ثمرة حلوة على شجرة المحبة كلما قطفتها ازدادت نموًّا . هي شيء نافع لواحد ولكنه مبهم لاثنين هي شيء يقسم بين اثنين ويزيد على ثلاثة . هي اقوى ما تسطو به المرأة على قلب الأب وتدير به عواطف الزوج وتعزى احزان الوالد . هي هزيم رعد الشفتين الذي لا بد ان يعقبه

بريق العينين · هي ما يأخذه الغلام مجاناً ويسرقه الشاب خلسةً ويشتريه الشيخ بالدراهم · هي طابع بدون حبر · هي باسبورت المرأة الى حبيب زوجها و باسبورت الرجل الى قلب امرأة · هي لغة المحبة العمومية والاصطلاح الوحيد في كل مكان هي الحلقة المفقودة بين الجسد والنفس هي التي قال فيها الشاعر :

ويح صبٍّ في الهوى من قبلةٍ　　كم لها في قلبه يبدو حنينْ

بشروا من فاز بالحب بها　　بعد فرط الهجر بالفتح المبين

قد دعوها في المعاني قبلةً　　اذ رأوها قبلة للعاشقين

كيف لا وهي التي يا طالما　　صلّوا اليها في خشوعٍ راكعين

قبل شاب فتاة على قارعة الطريق على غير سابق معرفة بينها ، فرفعت أمره الى القاضي فلما سئل قال :

وسائرةٍ قبلتها فتنبهت

وقالت تعالوا فاطلبوا اللصّ بالحدِّ

فقلت لها اني فديتك غاصبٌ

وما حكموا في غاصبٍ بسوى الردّ

خذيها وكفي عن اسيرٍ ظلامةٍ

وان انتِ لم ترضي فالفاً مع العدِّ

فقال القاضي : صدق الشاب ، وحكم الشريعة عينٌ بعين وسن بسن فقبليه يا مليحة . وهكذا انتهى الاشكال على ما يهوى الشاب ولسان حالها يقول « تأتي للرياح .. » اه

## العصفور والشعوب المستضعفة

رأى صياد عصفوراً جميلاً ذا صوت حسن فنصب فخه لاصطياده وعندما وقع العصفور في الفخ وضعه الصياد في قفص ذهبي ليتلذذ بزقزقته ويطرب بتغريده

نزل العصفور في ذلك القفص ورأى ذاته ضمن قضبان ذهبية بين كل منها فرجة ضيقة لا سبيل معها الى الخروج منها وعندما قابل بين ماضيه المطلق وحاضره المقيد ، عندما تأمل في فردوسه المفقود وقفصه الذهبي بارك ذلك الفردوس ولعن هذا القفص

اقبل الصياد ليضع الاكل للطائر وما كاد يقترب من القفص حتى رفرف العصفور بجناحيه ظاناً انه اتاه ليهبه حريته المسلوبة وفردوسه المفقود . ولكن سرعان ما كانت خيبته . لان الصياد بعد ان القى الحب في القفص وقف يمتع نظره بعصفوره الجميل ويشنف سمعه بتغريده الحلو . وبعدها انقلب على اعقابه عائداً

من حيث اتى · أما العصفور فبعد ان اعياه التغريد · بعد ان تعب من الصعود الى اعلى القفص والنزول الى اسفله · بعد ان يئس من توقل القضبان بلا فائدة وكلّ جناحاه · بعد ان رأى ان لا مخرج له من هذا السجن الضيق بعد ان نظر الى مستقبله المظلم نظر اليائس من الخلاص ورأى ذاته مخلوقاً ضعيفاً بازاء مخلوق قوي ابدل فردوسه المحبوب بقيد ذهبي وحريته المعبودة بقفص ممقوت انتفض جناحاه بقوة عظيمة وسقط على ارض القفص جثة لاحراك بها

مات العصفور لانه رأى الحياة مع قفص ذهبي وحرية مفقودة شرًّا من الموت· مات العصفور لان الصياد ابعده عن فردوسه وحرمه لذة استقلاله · مات العصفور لانه لم يرد ان يرّ الانسان يستبد به و يغلق في وجهه ابواب ملكوته : مات العصفور لانه رأى الصياد الظالم يسرُّ بزقزقة عصفور يتألم وتغريد طائر يتعذب · مات العصفور يائساً عندما رأى الضعيف يدوسه القوي· عندما رأى ان الحق لا يزال للقوة

وان القوة وحدها هي التي تأتي بالحق وتمنع الظالم من الظلم .

لا تغريد على الاغصان ولا زقزقة على الافنان لان العصفور مات

ايها العصفور ما اشبهك بالشعوب المستضعفة المظلومة وما اشبه صيادك بالدول المستبدة الظلومة الجائرة المتلذذة باستعباد سواها . المشنفة اذانها بسماعها انين مظلوميها . العائشة كالبق من دماء شعوبها . ولكن وانت طائر ارقى بكثير من هذه الشعوب وهم آدميون لانك ابيت الرضوخ للضيم وما ألهاك قفصك الذهبي عن الحنين الى حريتك الجميلة المقدسة وفضلت الموت على ان تكون اسيراً لسواك . ان بعض هؤلاء الشعوب يأكلون خبزهم مغموساً بدم الفضيحة والعار ويشربون ماءهم ممزوجاً بخمرة الرق والاستعباد . انهم يلوون اعناقهم تحت نير صيانيهم . انهم لايكتفون بان يرضوا بالضيم والرضوخ للاستعباد بل يقدسون اغلاط مستعبديهم ويحرقون البخور العاطر امام فضائحهم .. ان الصياد لم يرضك بقفصه الذهبي الذي اعده

لك ليلهيك به عن التفكر بحريتك المسلوبة · اما هذا الدول فقد اعدت لهذه الشعوب قيوداً مختلفة واقفاصاً ذهبية متنوعة ليخدروا بها احساساتهم ويقتلوا عزيمتهم وانفتهم ويلهوهم عن المطالبة بحريتهم والمفاداة في سبيل استقلالهم · بالوعود الخلابة · · يشغلونهم ببذور الشقاق والفساد التي يلقونها في حقولهم واراضيهم · اما انت فلم تفلح حيل صيادك فيك ولم تغررك مداعبته وابتسامته ولا غشتك حبوبه وعطاياه · انك افضل من هؤلاء الشعوب ايها العصفور !

ما اشبهك ايها العصفور بالشعوب اليائسة التي تلهيها المصيبة عن الافتكار بالتخلص من المصيبة · · عندما يعثر الانسان ويسقط على الارض يستعين بالارض التي هي سبب سقوطه على النهوض · ولكنك ايها العصفور لم تفعل ذلك لانك مخلوق ضعيف لا فكر ولا ارادة قوية لك · اما هذه الشعوب التي زينها الله بعقل وارادة والتي تلوي عنقها مختارة تحت سكين الجزار ونير المغتصب لا تكتفي بان تعمل عملك ( ولو كان غير حسن )

وتموت مفضلة جهنم العز على فردوس الذل شأن أباة الضيم ·
بل تريد ان تعيش ميتة حية والميت :

ليس من مات فاستراح بميت    انما الميت ميت الاحياء

رويد الحلفاء بشعوب يلسمونها على مضاجع الامال ولا يفتحون عيونها الا على اليأس وخيبة الامال · ما هكذا تكون المروءة ولا هكذا تحكم الشعوب ·· تغنى العرب بحريتهم منذ سنين واجيال فناصبها بنو جنكيز العداء وعلقوا نخبة رجالهم على الحبال والاعواد ثم امتشقوا الحسام وخاضوا غمار الحرب جائدين بارواح خيرة ابنائهم ليرجعوا بالسيف ما غصبه اياهم السيف فكافئتموهم بتجزئة سوريا ؟

بالأمس كانت سوريا تئن تحت نير واحد واليوم في عنق سوريا انيار · أهكذا يحكم شرع العدل ؟ ام هذا معنى حربكم في سبيل تحرير الشعوب ؟

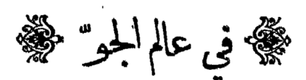
رويد المستعمرين من سوريا ! ليست سوريا ذلك العصفور الذي يوضع في قفص وما في ابناء فلسطين من لا يأبى الضيم · فعلى

مهل ايها المستعمرون !

انا كفلسطيني عربي وانا كأحد ابناء سوريا الممدودة على مائدة الجزارين لا تلهيني الوظائف ولا يشغلني الابتسام عن الاهتمام بامر بلادي .. انا كعضو في جسم هذه الجثة التي سنّ الجزارون سكاكينهم لتشريحها لا افعل فعل ذلك العصفور اليائس بل اعمل عمل من عنده ايمان كحبة الخردل واستعين بالمصيبة كما يستعين الساقط على الارض بالارض التي هي سبب سقوطه للتخلص من بين ايدي الجزارين . استعين بالصبر والتفكير والنشاط والعلم والعمل والاتحاد على صيادي هذه الامة . استعين بتربية ابنائي التربية الصحيحة وارضاعهم المبادىء القويمة وتسليحهم باسلحة الثبات وقوة الارادة . سأعلمهم الاعتماد على نفوسهم والذب عن حوضهم بسلاحهم فما في شعوب اليوم من هو ليس كقايين قاتل هابيل . وليس الحق قوة كما يتبجح محررو الشعوب في القرن العشرين . بل القوة حق وكلنا يعرف قصة الذئب والحمل

الحق قوة — نعم — ولكنها كامنة لا تظهر اليوم حتى تتبدل السماء غير السماء والارض غير الارض

اي ابناء امتي ! لا تقعدنكم المصيبة أينما كنتم عن العمل لبلادكم . ولا يشغلكم اليأس كما أشغل ذلك العصفور الضعيف عن الاهتمام بامر خلاصكم . بلادكم بل الدنيا لكم ان اردتم . كونوا رجالاً في بلادكم وفي غير بلادكم تجمعكم جامعة الوطن واللغة والقومية حتى اذا افقتم من صرعتكم واعددتم عدتكم وجمعتم اليكم اطرافكم وثبتم وثبة ترقص لها العجائز . فضلاً عن الصبايا من ورائها حياتكم وحياة بلادكم وابنائكم والسلام .



# في عالم الجوّ

قد تستولي عليّ من تغلبت قوة شعورهم على قوة عقولهم من بني الانسان صرعة وحي تنتهي بهم الى الملإ الاعلى حيث يسترقون اسرار الجو و يخترقون بنظرهم ما هو محجوب عن نظر الناس .

وقفت بي الروح يوماً في عالم الجوّ وما كدت انفض عنها غبار الارض ، واعدها لاقتبال اسرار الفضاء حتى رأيت سرباً من الطير يطوي الفيافي الجوية بسرعة غريبة ، فقلت : لعلّ احدى قبائل الجوّ آنست ضعفاً من احدى اخواتها فشنّت الغارة عليها وهزمتها من امامها هزيم البرق امام وجه الرعد ·
وما كدت أتريث قليلاً حتى رفرفت اجنحتها بقوة عظيمة وعاثت في الفضاء زقزقة غريبة نفرت منها روحي نفور رئم طارده صيّاد · واخذت الطيور عند ذلك تصعد وتهبط مما دلّ

على حيرتها وارتباكها . وما هي الا لحظة حتى انتحى كل منهم ناحية ووقف وقفة عنيد استعد لقتال بشري اعند ، وقد اصطفت على شكل نصف دائرة كأنها تقصد نصب فخ لمطاردها لتوقعه في اسرها وتطبق عليه بجيشها الهوائي . وما كان اشد دهشتي حينما عرفت بينها البلبل والقمري والكناري والشحرور وجماعة الخساسين مطربة السماء والارض ، غير اني عدت وقلت : لو لم يكن الامر جللاً لما اسمعتنا هذه الطير تلك الزقزقة الغريبة المزعجة .. وما كادت دهشتي تختمر في نفسي حتى سمعت أزيزاً مزعجاً تبدى لعيني على اثره [1] سابحة كالشهاب تشق سبيل الجو ، عابثة بالرياح ، قادحة الشرار كأنها عقرب شائل ، وكعفريت

(١) هذا الطائر من اولئك الذين اشار اليهم شاعر المعرة الاعمى في قوله

اقلتم السابح في لجة ورعتم في الجو ذات الجناح
هذا وانتم عرضة للفنا فكيف لو خلدتم يا وقاح

فهل رآهم في عصره ، او رآهم بعين الايمان ؟ .

ارضي ضاقت به الارض على رحبها ، تسلق الهواء وامتطى الجو مستعيراً من قلب الجماد الصلب اجنحة ليزور عالما راقيا في المريخ وعطارد والجوزاء . . وكان قد خيم اثناء ذلك سكون عميق استولى على الطير ، فتأملتها فاذا بي افهم بنظرة واحدة ما جال بينها من الحديث الذي لا يدركه الا من تجرّد عن جثمانه وحلّق في عالم السماء كإحدى السيارات السابحة في الفضاء . . .

قال الشحرور : هذا الطائر لم توجده فصيلة الطير هلموا نقتله

فقال القمري نحن على نقتله لا نقوى ، لانه احد كواسر الارض انما الاولى بنا ان نحتفي به ونؤمنه من شرنا ثم نحتال عليه بحيلة نفتك به فيها كيلا يزداد جنسه الشرير في عالمنا ويستفحل شره وظلمه في سمائنا ، فيفسد مسكننا ويجعل جوّنا ارضاً ثانية في الشرور والفظائع

قال الكناري : ولكن ألسنا في عالم ارقى من عالم هذا الضيف الثقيل ؟ فان نحن قابلناه بمثل ما اتصف به عالمه السفلي

بالقتل والظلم وحب الاستئثار والعبث بحقوق الغير فأيُّ ميزة لعالمنا العلوي عَلى عالمه السفلي ؟ هلموا نترفع عن الاحتيال والوقيعة والغدر فقد اتصفنا نحن جماعة الطير بالمحافظة عَلى الميزات التي خصّتنا بها الطبيعة العجيبة ومكوننا العظيم ، ولنحتف به ونكرم وفادته ولنصنع منه مخلوقاً شبيهاً في الدعة والبساطة بنا نحن مجاوري الآلهة والملائكة ! ..

ثم قال البلبل مغرّداً : يا إخوتي في الطيران . هذا الطائر الذي ترونه آتياً الينا بشري ، خلقه الذي خلقنا وميزه عنا بصورته وجمله بعقل تمكن به من مسابقة الطير في الهواء ، والحيوان عَلى اليابسة والاسماك في المياه ، وها هو الان ينازعنا نحن معشر الطير في جونا ، فاستقبلوه استقبالاً لائقاً وتعالوا نقيمه علينا ملكاً اذ لا قدرة لنا على قتاله ومنازلته . هو ضيفنا اليوم ايتها الطيور فهللنَ وكبرنَ واجثين لسلطته المعطاة له لان كل سلطة هي من الله مبدع الطير والانسان !

وللحال زقزقت جماعة الحساسين قائلة ولكن كيف نقيم علينا

ملكاً مخلوقاً هو من عالم الارض مأوى اللصوص وملجأ القتلة . او لا ترين فوهات الغدارات النارية الصاعدة من فم هذا الطائر الغريب والمصوبة لقذف نيران الموت والجحيم . ان هذا الطائر وان يكون احد نوابغ العلم والاختراع الشريفين لخليق ان لا يعيش بيننا في فضاء اللانهاية المقدس لأنه اتخذ ذينك الفنين الشريفين سلماً للتفنن في اساليب التخريب وازهاق الارواح . ان واجبنا ان لا نخضع لشرائع ارضه الجائرة وقوانين جامعته الضالية ، وما عليه الا ان ينسحب من جونا سريعاً والا قضينا على حياته !..

وما هي الا لحظة حتى رفرفت جماعة الطير كأنها تحبذ ما فاه به البلبل من الانذار ، فما كان من ذلك الطائر الغريب الا ان اخذ في الهبوط شيئاً فشيئاً ، كأنه فهم حديث الطير وانذارها اياه وما زال يهبط حتى ادرك سطح الارض وجلا خائفاً محدثاً الناس عما شاهده في رحلته ورآه في سفرته

# فلسطين

تبكي ولي الدين

بكاك الكل يا ولي الدين ، فمن العار ألا تبكيك فلسطين ، فلسطين التي لم تعتد الابتسام دهرها ، هي وان تبكيك اليوم فكم بكت قبلك « ولياً » لما عظيما !

ما كل اديب يُبكي ، ولولم تكن البوق النافخ ، والصوت الصارخ ، في وجوه الامراء والسلاطين ، لما بكتك فلسطين

لم يكن سكوتها هذا عن جمود في شعور ادبائها ، وقد نعاك الناعي منذ ايام ، وبكتك مصر والشام وناح عليك لبنان ، الا لان الحزن العظيم يُسكت احياناً ، والحزن الساكت افصح منه ناطقا ، وقد يحول الجريض دون القريض !

اي ولي الدين ! انت ميتاً اسعد منك حيا ، عِشرة الشرق هذه مع ادبائه تباً له عِشرة ! او تبا له عشيراً ! أشقاء في

الحياة ، وغبطة في الممات ؟ تلك هي شنشنة الشرق

لا يعرف القوم الفتى الا متى مات فيعطى حقه تحت الثرى

لو خيرت لعاقبت الشرق بأن حرمته من الادباء، ولحظرت على الارحام الا تتمخض بالنجباء، والا تحدر اصلاب الاباء الا البلهاء . ولكن لكل امة ادبائها تقذف بهم قوة لا تقف في سبيلها قوة ، والاديب من جسن حظ الشرق مسيح ، يصفح حتى والمسامير في يده ، والشوك على رأسه ، ولكن المسيح صفح وهو قادر على غير الصفح ، والاديب يصفح وهو ضعيف مستضعف ، فما ابعد الفرق بين الصفحين!

اي ولي الدين ! رثاك الشعراء والعين مغمضة ، وندبك الخطباء والحس في عدم ، ومدحك الادباء وانت في الهاوية ، فما نفعك من الرثاء وجدواك من الاطراء ؟ نفعتَ بلادك ولم تنفعك بلادك ! ولدت «يكنياً» ولم تعش غنياً ؟ ، تباً للحرفة المنكودة والبضاعة المردودة ! فكيف بالاديب الذي لم يولد «يكنياً» هل يعيش غنياً ؟ وما نفع ولدك من تترك ، واهلك

من شعرك ؟ مثل الشمعة تضيء الظلمات ، ويذيبها اللهيب ، مثل الاديب في هذا الشرق العجيب .

ما هكذا يكرم الغرب ادباءه ، ويقابل عظماءه وما هذا جزاؤكم من شرقكم ايها الادباء !

فالى السماء الى السماء يا روح ولي الدين ! حيث ارواح من سبقك من العظماء والاولياء . وهناك بجوار العرش الاعلى تتمتعين بما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا تنسي بان تتعهدي هناك رفاقك الذين لا يزالون يقاسون عَلَى الارض ما قاسيته انت يوم كنت بينهم بصلاة تتلينها من اجلهم كل صباح ومساء وعندما نسمعك تصلين نلجأ الى المقبرة ذلك الملجأ المقدس ، ومهدك السماوي ، حيث نضع الزهور فوق قبرك ، ونشعر معك بالتعزية والراحة ، وننسى هذا العالم عالم الدمع والشقاء ولو يعلم الناس ما يوجد من التعزية في الصلاة مع الموتي ، وما يقوله الله عَلَى لسان القبر ، لكانوا الى المقبرة حملوا احزانهم ، فالى اللقاء يا ولي الدين الى اللقاء .

## معاني كبيرة في جمل صغيرة

لبس حمارٌ جلد أسد فرآه ثعلب فهرب وما كاد يبعد قليلاً حتى نهق الحمار فتوقف الثعلب وقال : حسبتك اسداً فاذا بك حمار .. كثيرون هم من يعظمهم سكوتهم و يخفيهم رداؤهم وتسترهم وظائفهم ، ولا يعرفون الا متى نطقوا !

* *

يتشاءم الناس بالعدد الثالث عشر فهل يا ترى يتشاءمون به ايضاً اذا كان العدد المذكور « ليره » ؟

*

يغلط بعض الرجال و يقولون ان المرأة خلقت للذة والولادة وهذا القول لا يميز المرأة عن الهرة الولود وسائر اناث الحيوانات واذا كانت المرأة هرّة ماذا يكون الرجل؟ .

*

الحياة كالزواج لو تزوج الانسان حباً في لحمة تلثم وعظمة

تلمس فقط ، لانفرط عقد العائلات ولطلق النساء الرجال والرجال النساء عند ذبول تلك اللحمة ونخر سوس الشيخوخة ذلك العظم ولكن هناك ما هو اسمى من اللحمة والعظمة وهي الرابطة الروحية التي تربط كلا الزوجين، كذلك الحياة لو كان القصد منها جمع المال والتلذذ في المأكل والمشرب والملبس لفسدت ولأصبحت جحيماً ولكن هنالك ما هو أسمى من ذلك وهو العلوم والاداب والمعارف التي تجعل الحياة نعيماً .

*

اذا كان الناس كما قال المثل اثنين ، وهما عالم ومتعلم، فهل الجاهلون الذين يؤلفون الاكثرية في هذه البلاد ليسوا من الناس ؟ والذين ليسوا من الناس ماذا عسى يكونون؟ .

*

يقولون ان المرأة نعيم الرجل وجحيمه ولا يريدون ان يعترفوا ان الرجل نفسه هو الذي يجعلها كذلك !

فهي شيطان اذا افسدتها    وإذا اصلحتها فهي ملك

*

الجمال كتاب توصية مفتوح

*

قبل ان يجلد بيلاطس السيد المسيح وقبل ان يسلمه للصلب غسل يديه وقال : اني بريء من دم هذا البار . كثيرون من سياسة اليوم يمثلون دور بيلاطس هذا ولكن الفرق بين التمثيلين ان هؤلاء يغسلون ايديهم قبل الجلد والصلب و بعدهما ايضاً

*

حنا — خذ إصبعي في فمك وهات اصبعك انت ايضاً وليضغط كل منا على اصبع رفيقه باضراسه الامامية ما شاء

موسى — أخ !

حنا — لوصبرت لحظةً فقط على الألم لسبقتك انا الى اخراج لفظة« أخ »من فمي ولكني صبرت والفوز في الصبر

*

الانسان — أنت بغل

البغل — وأنت انسان

الانسان — والغريب انك لا تعدل عن الرفس ولو وضعوك تأكل على المائدة !

البغل — والأغرب ان لا تعدل عن الحرب وانت انسان ولو تشكلت جمعية الامم ! .

*

سوريا — هل تشعرين بالفراغ الذي يحدثه فيك سفر ابنائك الى اميركا

فلسطين كلا لان اليهود يملأونه ..

*

سار احدهم والظلام حالك في غاب بعيد الاكناف ، مترامي الاطراف ، وبيده مشكاة ( مصباح ) . فاذا برجل مجهول قد استوقفه على حين غرة قائلاً : اطفيء المصباح ياصاح لتجد الطريق الموءدي بك الى مقرك ! .. هذا الرجل المجهول

هو بليد القرن العشرين اللذي لما يصعب عليه التحديق في شمس الحقيقة يشرع في انتقاد قادة الافكار المصلحين. ويريد ان يرجع به الى القرون المظلمة

*

في الاناث كما في الذكور، بذيء وبذيئة، وشريف وشريفة. غير انه يوجد في الجنسين من يريد ان يجمع بين البذاءة والشرف في وقت واحد وبكل وقاحة يطلب ان يكون في اعين الناس شريفاً

*

يسوء الفتاة الساقطة ان لا تقع عينها على الشريفة فتسعى جهدها لتجعلها مثلها وكذلك الفتى ... والعكس بالعكس

*

ثلاثة ادوار مهمة تمر علَى حياة الحيوان والنبات — الولادة والزواج والموت — واهمها الزواج لان الاخرين متبوعان عظيمانٍ لمتبوع أعظم. إذ لولا الزواج والتلقيح

لانقرض النوع الحيواني والنباتي . وبينما الله لحكمة جعل الزواج أهم هذه الادوار نرى الانسان دون الحيوان والنبات يستهين به و يبخسه حق مكانته .

*

لا يصلح لان يكون كبيرًا او زعيمًا او نائبًا في احد المجالس الا من وضع قلبه في دماغه وقرن إخلاصه بعقله ، لان الاخلاص إذا اقترن بالجهل كان ولا شك شرًا من الشر .
وقد روى عن أنس بن مالك قال : – أُثني على رجل عند رسول الله بخير فقال – كيف عقله ؟ قالوا يا رسول الله انّ من عبادته ، ان من خلقه ، ان من فضله ، ان من أدبه .. فقال – كيف عقله ؟ قالو – يا رسول الله نثني عليه بالعبادة واصناف الخير وتسألنا عن عقله ؟ فقال الرسول ؟ ان الاحمق العابد يصيب بجهله أعظم من فجور الفاجر ، وانما يقترب الناس من ربهم بالزلف على قدر عقولهم

*

بين البراميل والمخلوقات شبه أقرب من اليوم الحاضر لامس الغابر فكما انك تسمع للبرميل الفارغ اذا دُحرج عَلَى الرصيف دويًا لا يسمعك اياه البرميل المملوء هكذا أصحاب الرؤوس الفارغة يملأُون الدنيا صراخًا وتبجحًا والحقيقة عكس مايظهرون .

*

التقى المرحوم إمام العبد شاعر العبيد في احد شوارع القاهرة بصديق له يدعى محمود بك ، فأراد هذا مداعبته فقال له — أتذكر قصيدة المتنبي اللتي مطلعها :

عيدٌ بأيّة حالٍ عدت ياعيد بما مضى ام لأمرٍ فيك تجديدُ

فعرف امام انه يقصد من القصيدة البيت الوارد فيها وهو

لا تشترِ العبد الا والعصا معه ان العبيد لأنجاس مناكيد

فاجابه في الحال قائلاً — نعم اذكرها ولكن لم يرق في عيني من ابيات القصيدة الا هذا البيت :

ما كنت احسبني أحيا الى زمنٍ
يسيءُ بي فيه وغدٌ وهو ( محمودُ )

*

( الموضة ) في هذا العام(١٩١٤ ) أقرب الى الاقتصاد والصحة منها في سواه ، لان المواد الجديدة اللتي زادها مجلسها في باريز على لائحتها الجديدة هي :

١ً ) على السيدات العصريات ان يعرّضنَ صدورهنّ لنور النهار المنتي ونسيمه العليل على الطريقة المعروفة بالديكولتي

٢ً ) ان يسرنَ في الشوارع وأرجلهنّ عارية من الجوارب

٣ً) أن ينقشنَ على سواعدهنّ روضة ناضرة ويحطنها في أسفلها باسورة توضع في طرفه الواحد الساعة وفي الطرف الاخر صورة الحبيب او الزوج، حتى لا تفوتهنّ كلما اردنَ معرفة الوقت فرصة دون ان يمتعنَ فيها ابصارهنّ بنظرة إليه ... وقانا الله هذا العام لفحات موضته ! .

*

الثوب الاسود هو شعار لعقيدة حرة . ومتى رأيت الكتّاب يذكرون بعض لابسي هذا الثوب بغير الرضى فاعلم ان تلك العقيدة الحرّة غير راضية عن هذا الثوب ولم تعد ترغب في أن يكون شعاراً لها

*

كل رئاسة دينية كانت او مدنية لا تريد ان تفهم ان الخلاص في الاخلاص ذاهبة لا محالة . ومجرد قيام الشبيبة الراقية في وجه الرئاسة أكبر دليل على اختلالها . والشعب الغرّ المهالي والرؤساء المختلون كلاهما خادع مخدوع يسيران الى الفناء من حيث يطلبان البقاء

*

الغيرة على الشرف عند الغربيين حملت الاحساسيين منهم على سن قانون للمبارزة . ولو وُجد هذا القانون في حكومات الشرق لكان كل احساسي من الشرقيين اما قاتلاً او مقتولاً . . .

*

لو وُضع لسان السفيه البذيء موضع اذنيه لمُسِخَ حماراً ..
ولكن تحت ارجل الحمار اللذي ركبه السيد المسيح عند دخوله اورشليم قبل قيامته باسبوع فُرشت سعف النخل وأَغصان الزيتون ...

*

الموضة الاخيرة في باريس هي ان تسير الغانيات في الشوارع بلا جوارب وهذه الموضة متبعة عند نساء القرى في فلسطين قبل ان عرفتها غانيات باريس ...

# فهرست

﴿ تصويب ﴾ وقعت غلطات في اثناء المراجعة تداركناها وهي:

| صفحة | سطر | خطأ | صواب |
|---|---|---|---|
| ١٣ | ٤ | انثى | فتى |
| ٢٠ | ١٢ | كل | كلاً |
| ٢٨ | ٢ | نجدد | تجد |
| ٣٣ | ٥ | حجره | حجر |
| ٥٤ | ١٣ | واقتراف | لنكبتهم عن اقتراف |
| ٥٩ | ٤ | مكوناتها | مكنوناتها |
| ٧٠ | ٣ | همجهينه | عنجهيته |
| ٧١ | ١١ | تعزي | تعزين |
| ٨١ | ١٣ | موزرًا | مؤتمرًا |
| ٨٨ | ١٥ | التيم | التتيم |
| ٩٩ | ٥ | للرباح | الرياح |
| ١١٢ | ١٥ | او تبًا | تبًا |

وهنالك بعض نقط او حروف كسرت في اثناء الطبع في بعض النسخ لا تخفى على اللبيب والعصمة لله

# مؤلفات المؤلف

## الحياة بعد الموت

ثمنها ٢٠ قرشاً

## الزفرات

ثمنها ١٥ قرشاً

## حقائق وعبر

ثمنها ١٠ غروش

## ربة الجمال

(جزآن) ثمنها ٢٠ قرشاً



